في الحضارة الإسلامية

اللغة العربية والخط وأماكن العلم والمكتبات الترجمة وآثارها

د. حنان قرقوتي



اللغة العربية والخط
أماكن العلم والمكتبات
الترجمة وآثارها

في الحضارة الإسلامية

اللغة العربية والخط وأماكن العلم والمكتبات الترجمة وآثارها

د. حنان قرقوتي

المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع

الطبعة الأولى

1427 هـ - 2006 م

مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع

بيروت - الحمرا - شارع اميل اده - بناية سلام - ص.ب. 113/6311

تلفون 791123 (01) - تلفاكس 791124 (01) بيروت - لبنان

بريد الكتروني majdpub@terra.net.lb

ISBN 9953-463-03-4

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى:

﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝ ﴾ [1].

قال رسول الله ﷺ:

"الحكمة ضالة المؤمن، فحيث وجدها فهو أحق بها"[2].

وقال المصطفى ﷺ :

"ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهّلَ الله له طريقاً إلى الجنة"[3].

وقال ﷺ أيضاً:

"من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع"[4].

وعن معاذ بن جبل ﷺ قال:

"تعلموا العلم، فإن تَعَلُّمَهُ لله خَشيةٌ، وطلبَهُ عبادةٌ، ومذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمَه لمن لا يعلمُهُ صدقةٌ وبذله لأهلِه قربةٌ"[5].

---

[1] سورة العلق، الآية 1 – 5 .

[2] الترمذي (محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي ت. 279هـ.)، سنن الترمذي، ج5، ص 51، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ل.ت..

[3] القرطبي (محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي أبو عبد الله ت. 671هـ.)، تفسير القرطبي، ج1، ص8، تحقيق أحمد عبد العليم البردوني، دار الشعب، ط2، القاهرة- مصر، 1372هـ..

[4] الترمذي، المرجع السابق، ج5، ص 29.

[5] عبد العظيم بن عبد القوي المنذري (ت. 656هـ.)، الترغيب والترهيب، ج1، ص 52، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت – لبنان، 1417هـ.- وانظر الغزالي، إحياء علوم الدين، ج1، ص11 ، دار المعرفة، بيروت- لبنان، 1402هـ./1982م..

الإهـــداء

إلى فلذات أكبادنا... الذين نظروا إلى الحضارة الغربية ... ولم ينظروا إلى ما قدمته حضارتهم إلى الإنسانية... أهدي هذه الدراسة.

المقــدمة

بســـم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام عـــلى خير المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعـــد، شَـــرُفَت اللغة العربية بأنها لغة التنـــزيل القرآني، فانتشرت حيـــثما انتشـــر الإسلام في مختلف بقاع المعمورة، وأولاها المسلمون جل اهتمامهم فعمدوا إلى ضبطها والعناية بها.

كما اهتموا أيضاً بالخط العربي الذي صاحب انتشار اللغة منذ فجر الدعـــوة، وبلـــغ شـــأواً بعيداً حيث صارت تكتب به لغات غير عربية، وتضمّن الخط العربي العديد من الأنواع.

ومـــع انتشـــار الإسلام وتوسع رقعة الدولة الإسلامية وحثّ الدين الحنـــيف عـــلى طلب العلم ، انتشرت العلوم في العديد من الأماكن التي كانت مراكز أشعاع لنور الحضارة على مدى التاريخ الإسلامي.

وكـــان انتشـــار دور الكتـــب وتشجيع العلم محطّ اهتمام الخلفاء والأمـــراء، ومن ثَمَّ كبار الأغنياء وحتى العلماء والقارئين والطلبة في بعض الأحايين.

هـــذا الـــتراث الإنساني تعرّض لنكبات عدة كان لها أثر كبير على ضياع الكثير منه، وبنت هذا التراث الزاخر الأمة الإسلامية التي برعت في

العديد من العلوم لعصرها كان أكثره مستمداً من كتاب الله وسنة نبيه المصطفى ﷺ.

وكان لنشر المعارف والعلوم بين الشعوب تلك اللمسة التي اهتم بها المسلمون ألا وهي حركة الترجمة إلى اللسان العربي والتي كانت لها إسهاماتها في نقل العلوم التي انتشرت قبل الإسلام خاصة عند الإغريق والهنود وغيرهم.

وجاءت حركة الترجمة والنقل عن الأمم السالفة منسّقة غير عشوائية كي لا تتعارض مع مبادئ الدين الإسلامي. فمثلاً لم تنقل كتب الإلياذة والأوذيسة عن اللسان اليوناني لأنها ملاحم أسطورية إلهية لم تفد البشرية بأي شيء، إنما أخذت عن حضارة اللسان المذكور ما يتلاءم ويفيد المجتمع الإنساني.

ومع ترجمة العلوم لم يقف المسلمون عند حد الترجمة للمجهود الفكري الذي قام به السابقون بل عمدوا إلى تطوير العلوم التي انتشرت تبعاً لعصورها وعلى مختلف الصعد، وذلك أن الإسلام يرفض التبعية الفكرية والتقليد الأعمى. قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَـٰهَا وَزَيَّنَّـٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝﴾ [1].

فهنا دعوة للنظر والتبصر والبحث والتقصي عما يدور حول الإنسان وفي نفسه فكانت الدعوة للبحث العلمي الذي برع فيه المسلمون ووضعوا له أسساً قيّمة.

---

[1] سورة الذاريات، الآية 20 – 21 .

وفي مـــرحلة لاحقة من التاريخ الإسلامي كان لحركة الترجمة للعلوم الإســـلامية إلى اللغـــات الأوروبية أثره في نشر المعرفة والعلوم في مختلف البلدان الأوروبية.

د.حنان قرقوتي شعبان

الفصل الأول

اللغة العربية والخط

تمهيد

شرفت اللغة العربية بكونها اللغة التي أنزل الله بها القرآن الكريم على رسوله محمد ﷺ، وقد ساهمت هذه اللغة بنصيب وافر في الحضارة الإسلامية، واتسعت بعد ذلك لكل أنواع العلوم وأضحت فيما بعد وسيلة التفاهم والتخاطب لدى كثير من الشعوب التي دخلت في الإسلام، وأصبحت صورة من صور الحضارة ومرآة للوضع الحضاري السائد في العصور الوسطى.

وبانتشار الفتوحات زمن الخلفاء الراشدين، وزمن الأمويين. صارت اللغة العربية لغة تخاطب، بين الناس الذين دخلوا في دين الله أفواجاً، واستُعمل حرفها العربي في كافة الأرجاء، إضافة إلى اللغة المحلية التي كانت تُستعمل في البقاع المفتوحة، حتى وصلت إلى بلاد الهند[1]؛ حيث استعمل السكان المسلمون الحروف العربية في كتاباتهم. كما أن اللغة الأوردية المعدودة من أشهر لغات الباكستان لا تزال تدوّن بالأحرف العربية حتى الآن، وكذلك الفارسية وغيرها من اللغات الأخرى[2].

وعلى العموم فإن اللغة العربية انتشرت في سائر الأقطار وأصبح لها الأثر الكبير حيث دُونت بها الحضارة الإسلامية، وكان من رواد هذه الحضارة العربي وغير العربي، المسلم والذِّمِّي[3]، وعلى سبيل المثال لا الحصر فإن جابر بن حيان وابن الهيثم وابن خلدون كانوا عرباً، أما الفارابي وابن سينا فتركيان، فيما الخوارزمي والغزالي فارسيان، وغيرهم كثير أمثال محمد بن إسماعيل البخاري ومسلم ابن الحجاج النيسابوري

---

[1] يوسف نويهض، الموجات الحضارية بين العرب وسكان شبه القارة الباكستانية الهندية، مجلة الوعي، العدد2، ص39، الكويت- الكويت، أيار 1967م..

[2] يوسف نويهض، المرجع السابق، ص 39.

[3] الذِّمِّي: غير المسلم الذي يعيش كمواطن في دولة الإسلام.

وأبو عيسى التِّرمذي علماء الحديث الشريف، وسيبويه الفارسي عالم العربية، والإدريسي الصقلي عالم الجغرافية إلخ.، وجميعهم كتبوا باللغة العربية لأنها كانت لغة الثقافة في العصور الوسطى. حتى أن موسى بن ميمون اليهودي، وحُنين بن إسحق الآرامي، وثابت بن قرة الصابئي الكلداني جميعهم كانوا من كتّاب العربية. وانتشرت اللغة العربية في أنحاء العالم غير الإسلامي أيضاً لدرجة أن كتَاب القانون في الطب لابن سينا على سبيل المثال قد طبع في مدينة روما باللغة العربية، لغة التأليف، وكان يُدرّس بالعربية في جامعة سالرنو الإيطالية[1].

اللغة العربية وضبطها:

في صدر الإسلام لم يكن يكتب العربية غير بضعة عشر إنساناً، وسرعان ما لفت الرسول ﷺ أعين المسلمين إلى ضرورة تعلم الكتابة، وتجلى ذلك في أسرى بدر حيث كان من يعرف الكتابة ولا يملك ما يفتدي به نفسه، عليه أن يعلم عشرة من أبناء المسلمين القراءة والكتابة لقاء حريته.

بعد ذلك عمد المسلمون إلى ضرورة ضبط اللغة، فبادروا إلى التقاطها، من البادية يطرقون منازل أهلها ويشهدون محاوراتهم ويتتبعون آثارهم ويستنطقون أطلال ديارهم حتى وقفوا على ما كان متفرقاً من لغاتهم، وقيدوها في الصحف بطريق الرواية والإسناد.

وكانت حروف الكتابة في أول الأمر موضوعة بغير علامات[2]، وظل الناس يقرؤون في مصحف عثمان وهو بتلك الكتابة نحواً من أربعين سنة حتى كثر التصحيف لوجود الحروف المتشابهة[3].

---

[1] د. عمر فروخ، الحضارة الإنسانية وقسط العرب فيها، ص 16، دار لبنان، ط3، بيروت-لبنان، 1983م..

[2] حاجي خليفة (مصطفى بن عبد الله، 1017 - 1067هـ.)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج3، ص 154، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1413هـ./ 1992م..

[3] ابن خلكان ، المرجع السابق، م 1، ص 175.

فعمد اللغويون إلى ضبط الحروف لتسهيل أمر قراءها، وقد أجمع المؤرخون على أن أبا الأسود الدؤلي[1] هو الذي ضبط القرآن الكريم بالشكل متخذاً النقط للدلالة على الحركات.

وفي أواخر القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي شاع أسلوب جديد مختلف عن أسلوب أبي الأسود الدؤلي، الذي يختلط أمره بنقط الإعجام، هذا الأسلوب قام على اختصار حروف العلة (الألف- الواو- الياء)، فنابت عنها الفتحة والضمة والكسرة في بعض رموزها وهي التي تستعمل الآن.

ويقال إنها من وضع الخليل بن أحمد الفراهيدي[2]، وقيل هي الحركات الثمانية (الفتحة- الكسرة- الضمة- السكون- الجزم- الشدة- المدة- وعلامات الصلة والهمزة) التي وضع ثلاثاً منها الخليل والباقيات وضعت فيما بعد.

أما عن ترتيب الحروف العربية، فقد قيل: إن أول من ألّف بين حروف الخط العربي ستة أشخاص من طسم في الجزيرة العربية كانوا نزلاء عند عدنان بن أدد، وكانت أسماؤهم: (أبجد، هوز، حطي، كلمن،

---

[1] أبو الأسود الدؤلي: (40 – 95هـ./ 660- 713م.) من القادة الأمويين، ولي مكة والمدينة والطائف في عهد عبد الملك بن مروان، ويقال إنه تلقى أصول علم النحو من علي بن أبي طالب كرم الله وجهه- د. عزيزة فوال بابتي، التطور الحضاري (من بدء خلافة الراشدين إلى نهاية خلافة الأمويين)، ص141، دار الشمال، طرابلس – لبنان، ل.ت..

[2] الفراهيدي:(100 – 170هـ./ 718- 786م.) هو الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي، من عُمان جنوبي الجزيرة العربية بجانب اليمن، وهو من أئمة اللغة والأدب، وواضع علم العروض الذي أخذه من الموسيقى وكان عارفاً بها، وكان أستاذ سيبويه النحوي. له كتاب العين في اللغة، ومعاني الحروف، وجملة آلات العرب، وتفسير حروف اللغة، وكتاب العروض، وغيرهم - لمزيد من التفصيل انظر خير الدين الزركلي، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء والمستشرقين والمستعربين، م2، ص 314. دار العلم للملايين، ط10، بيروت – لبنان، 1992م..

ســعفص، قرشــت)، فوضعوا الكتابة على أسمائهم. وعندما وجدوا في الألفــاظ حروفاً ليست من أسمائهم ألحقوها بها وسموها الروادف وهي: (ثخــذ- ضغظ)، ثم انتقلت عنهم إلى الأنبار، ثم انتشرت بعد ذلك عند العرب.

ويــرجح أن العــرب غيروا هذا الترتيب في القرن الثاني أو الثالث الهجــري/ الثامن أو التاسع الميلادي، ومنهم من يذهب إلى أن نصر بن عاصــم- الليــثي- ويحــيى بــن يعمر-العدواني تلميذا الخليل ابن أحمد الفراهــيدي- هما اللذان غيرا هذا الترتيب وقتما أوصاهم الحجاج بوضع عــلامات لتميز الحروف المتشابهة فرتبوا الحــروف على النحو التــالي: أ- ب- ت- ... [1].

وضــبط اللغة كان ضرورياً لما يحتاج إليه العلماء من حفظ الحديث وتفسير القرآن الكريم بما دونوه من لسان قريش وغيرهم.

"وأول مــن دوّن اللغة مجموعة في كتاب واحد الخليل بن أحمد[2]، وقــد ضــمن كتابه[3] أصول اللسان العربي وقيد ألفاظه في مواضعها في

---

[1] علي رواي، الخط العربي، نشأته، تطوره، قواعده، خط الثلث والنسخ، ص20 – 21، منشأة المعارف، الإسكندرية- مصر، ل.ت.— وانظر أحمد عبد الله سرحان، حرفنا العربي وأعلامه العظام عبر التاريخ، ص 56، الحقيقة برس، بيروت — لبنان، 1988م..

[2] الخليل بن أحمد: الفراهيدي منشئ علم العروض، أخذ عنه سيبويه النحو، والنَّغْر بن شُميل، وهارون بن موسى النحوي والأصمعي وآخرون.
ويقال : إنه دعــا الله أن يرزقــه علِماً لا يُسبق إليه، فَفُتِح له بالعروض، وله كتاب"العين" في اللغــة- انظر الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ت.748هــ.)، سير أعلام النبلاء، ج7، ص 429- 430، تحقيق الأبياري، وقرئ على د.طه حسين، يخرجه معهد المحفوظــات بجامعة الدول العربية بالإشتراك مع دار المعارف، ذخائر العرب (9)، القاهرة- مصر، ل.ت..

[3] هو أول معجم كتب في اللغة العربية – جميل نخلة المدور، حضارة الإسلام في دار السلام، ص172 –173، وزارة المعارف العمومية، المطبعة الأميرية ببولاق، القاهرة- مصر، 1935م..

الاشتقاق إلا ما كان دخيلاً عليه في كلام الأعاجم فإنه اكتفى من ذكره بالإشـــارة إلى عجميـــته، وأســـند روايته في ذلك كله إلى أكابر الحفاظ ولذلك صار قوله حجة يرجع إليها، ثم دونها بعده كثير من العلماء، منهم أبـــو الحســـن علي بن حمزة الكسائي مُؤَدِّب[1] الأمين والمأمون من أولاد الرشيد، ومنهم سيبويه[2] والفرّاء[3] والأخفش" [4].

النحـــو:

مـــع ظهور الاهتمام باللغة العربية ظهر علم النحو لاتصاله مباشرة بالقرآن الكريم. وظهرت "الخطوات الأولى في ذلك خدمة لكتاب الله عز وجـــل، لحمايـــته مـــن اللحن والتصحيف، ثم تطورت فشملت بلاغته وإعجازه، وتعدت لدراسة تأويله وتفسيره، ثم دراسته دراسة صوتية لمعرفة مخـــارج الحـــروف وتأثير بعضها في بعض. وبالنظر إلى كتاب سيبويه[5] باعتباره أول كتاب في نحو العربية يصل إلينا نجده يشتمل على هذه العلوم

---

[1] مؤدِّب: مُرَبٍ ومُوَجِّهٌ ومُعَلِّم.

[2] ســيبويه (148 – 180 هـــــ./ 765 – 796 هـــ.)، هو عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، من مواليد شيراز. قدم البصرة ولزم الخليل بن أحمد ففاقه. وصنف كتابه المســـمى "كـــتاب سيبويه" . وكلمة سيبويه بالفارسية تعني : رائحة التفاح– خير الدين الزركلي، المرجع السابق، م5، ص 81 .

[3] الفراء: هو يحيى بن عبد الله بن منظور الديلمي، (عاش بين سنة 144 – 207 هــــ./ 761 – 822م.)، إمـــام الكوفيين، وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب. كان يقال عنه : إنه أمير المؤمنين في النحو. ولد بالكوفة وعهد إليه المأمون بتربية ابنيه. ومن آثاره "المعاني" ويسمى معـــاني القرآن، وله كتاب "المقصور والممدود"، وكتاب "اللغات" و"الفاخر" في الأمثال، و"مـــا تـــلحن فـــيه العامة" و"آلة الكتاب" و"الأيام والليالي" وغيرهم كثير – خير الدين الزركلي، المرجع السابق، م8، ص 145 – 146.

[4] جميل نخلة المدور، المرجع السابق، ص172- 173 .

[5] سيبويه، كتاب سيبويه (علم الأعلام إمام كل إمام، مالك أزمة الأدب وملك علوم العرب أبي بشـــر عمـــرو الملقب سيبويه)، وبهامشه تقريرات وزبد من شرح أبي سعيد السيرافي، المطبعة الكبرى الأميرية، ط1، بولاق – مصر المحمية سنة 1316هجرية.

جميعاً- وإن لم يسمها- ففي الكتاب نحو من أربعمائة آية قرآنية يسوقها سيبويه للتدليل على بعض قواعد النحو أو طرق التعبير والأساليب اللغوية المتــبعة، وفيه إسناد لعدد غير قليل من أئمة اللغة ورواهما وعلماء الأدب والقراءات.

وقــد حوى الكتاب أصول العربية وفروعها[1]. وحول أهميته روى ابــن شــقير عن أبي جعفر الطبري قوله: "سمعت الجرمي يقول: أنا مذ ثلاثون[2] سنة أفتي الناس في الفقه من كتاب سيبويه، قال:

فحدثــت بــه محمد بن يزيد (المبرد) على وجه التعجب والإنكار فقــال: أنا سمعت الجرمي يقول هذا- وأومأ بيده إلى أذنيه، وذلك أن أبا عمر الجرمي كان صاحب حديث، فلما علم سيبويه تفقه في الحديث، إذ كان كتاب سيبويه يُتعلم منه النظر والتفيش" [3].

ولما كان المعنى اللغوي لكلمة (الفقه) هو الفهم، جاز أن نقول إن أبا عمر الجرمي فهم الحديث وفقهه بعد الدُّربة والمعاناة في كتاب سيبويه. وبــرهن على قدرته الفقهية التي كان يخرجها على مذاهب النحاة، يقول الزجاجي:"كان أبو عمر يوماً في مجلسه وبحضرته جماعة من الفقهاء فقال لهم: سلوني عما شئتم من الفقه فإني أجيبكم على قياس النحو، فقالوا له: ما تقول في رجل سها في الصلاة، فسجد سَجْدَتَيْ السهو، فسها؟ فقال: لا شــيء علــيه، فقالوا له : من أيــن قلت ذلك؟ قال: أخذته من باب الترخيم[4]،لأن المرخم لا يرخم". وليس في الأمر ما يستغرب، فتعلم النحو

---

[1] د.عوض بن حمد القوزي، الأصوليين الفقهاء والنحاة، مجلة الدارة، السنة 13، العدد4، ص9، الرياض- السعودية، 1408هـ- 1988م..

[2] والصحيح ثلاثين.

[3] د. عوض بن حمد القوزي، المرجع نفسه، ص90 - 91 .

[4] الترخــيم:" التليين؛ ومنه الترخيم في الأسماء لأنهم إنما يحذفون أواخرها ليسهلوا النطق بها، وقيل : الترخيم الحذف؛ ومنه ترخيم الاسم في النداء، وهو أن يحذف من آخره حرف أو أكثر". وقال الأصمعي : "أخذ عني الخليل معنى الترخيم وذلك أنه لقيني فقال لي: ما تسمي

إنما هو تعلم للقياس، بل إن النحو كله قياس كما قال الكسائي:

إنمـــا النحـــوَ قيـــاسٌ يُتّبَعْ   وبـــه في كـــل أمـــر يُنتَفـــع[1]

ولقـــد "عـــني النحاة بالقياس منذ وقت مبكر، ويمكن القول بأهم ســبقوا الفقهـــاء إلى ذلـــك، فعبـــد الله بن أبي إسحـــاق الحضرمـــي (ت.117هـــــ./735م.)، كان شديد التجريد للقياس، في حين لم يظهر القياس بوضوح عند الفقهاء إلا على يد أبي حنيفة (ت.150هـــ./ 767م.) وتلامـــيـــذه أمـــثال القاضي أبي يوسف يعقـــوب بن إبراهيم الكـــوفي (ت.182هـــــ./798م.) الذي يعد أول من نشر علم أبي حنيفة، والإمام محمـــد بن الحسن الشيباني (ت.189هـــ./814 م.) الذي يعتبر من أوائل العـــلماء الذيـــن ربطوا بين مسائل الفقه والنحو، بل ربما يكون الشافعي (ت.204هـــ./820م.) أول من رسم الخطوط الأولى لأصول الفقهاء"[2].

"ولما كانت النهضة الفكرية مصحوبة بظهور بعض المذاهب المخالفة لعقيدة السلف، ومن أبرزها (الزندقة)[3] التي وقف المسلمون من أهلها موقف المنابذة والحذر، مخافة أن تستهوي شباهم فيضلوا، التبس أمر بعض العلوم ومن بينها النحو على كثير من العامة، الأمر الذي أدى إلى إحراج بعض النحاة واتهامه في عقيدته، فقد روي أن أبا حاتم السجستاني قدم بغداد، ودخل المسجد فسئل عن قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ

= العرب السهل من الكلام ؟ فقلـــت له: تقول جارية رخيمة إذا كانت سهلة المنطق، فعمل الترخيم على هذا" – ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكـــرم)، لسان العرب، م12، ص 234 ، دار صادر/ دار بيروت، بيروت – لبنان، 1388هـــ./ 1968م..

[1] د. عوض بن حمد القوزي، المرجع السابق، ص 91.

[2] د. عوض بن حمد القوزي، المرجع نفسه، ص92 .

[3] الزندقة: من الزنديق الذي لا يؤمن بالآخرة ووحدانية الخالق– ابن منظور، المرجع السابق، ج10، ص 147.

أنفُسَكُمْ﴾ [1] كيف يقال منه للواحد؟ فقال: ق، فسئل عن الإثنين، فقال: قِيا، فسئل عن الجمع فقال : قوا، فَطُلِبَ إليه أن يجمعها للسائل، فقال: قِ، قِيا، قُوا.

وكان في ناحية المسجد رجل يسمع ما يدور بين الأستاذ والتلميذ، فقـــال لصـــاحبه: احتفظ بثيابي حتى أرجع، وانطلق إلى صاحب الشرطة فقال له: إني ظفرت بقوم من الزنادقة يقرؤون القرآن على صياح الديك، فمـــا شـــعر أبو حاتم ومن معه حتى هجم الشرطة عليهم، فأخذوهم إلى مجلس صاحبهم، فسألهم عما كانوا فيه، فتقدم أبو حاتم يقص النبأ عليه، وقد اجتمع خلق ينظرون ما يكون، فعنّفه صاحب الشرطة وقال: مثلك يطلق لسانه عند العامة بمثل هذا؟! وضرب أصحابه عشرة عشرة، وقال: لا تعودوا إلى مثل هذا"[2].

هذا، وقد حذا علماء العربية طريق المحدِّثين من حيث العناية بالسند ورجالـــه وتجريحهم وتعديلهم. "فكانت لهم نصوصهم اللغوية كما كان لأولئك نصوصهم الحديثية، ولهم طبقات الرواة كما لأولئك. ثم احتذوا حـــذو المتكـــلمين في تطعيم نحوهم بالفلسفة والتعليل، ثم حاكوا الفقهاء أخـــيراً في وضعهم للنحو أصولاً تشبه أصول الفقه، وتكلموا في الاجتهاد فـــيه كما تكلم الفقهاء، وكان لهم طرازهم في بناء القواعد على السماع والقـــياس والإجمـــاع، كما بنى الفقهاء استنباط أحكامهم على السماع والقـــياس والإجمـــاع، وهذا هو تفسير مقولة أبي البركات الأنباري وهو يتحدث عن أصول الفقه: معقول من منقول"[3].

---

[1] سورة التحريم، الآية 6.

[2] د. عوض بن حمد القوزي، المرجع السابق، ص99 .

[3] د. عوض بن حمد القوزي، المرجع نفسه، ص101.

فكما أن الفقيه يعتمد في وضع الأحكام الفقهية على النصوص التي تعب في توثيقها المحدث، كذلك يفعل النحوي عند وضع الأحكام لتلك النصـــوص اللغويـــة التي أضنى اللغوي نفسه في جمعها وتَلَقُّطَها من أفواه الأعراب، وكما أن الفقيه يقيس ما لا دليل عليه على ما استقام دليله، فإن الـــنحوي يقيس ما لم يُسمع من العرب على ما سُمع منهم، وهكذا، لأن "أصول اللغة محمولة على أصول الشريعة"[1].

هـــذا، وكان من أبرز مراكز علم النحو في القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي مدينتا البصْرة والكوفة اللتان وُضعت فيهما علوم العقائد والفقـــه، ونشـــأت مدرسة النحويين واللغويين، وكان فيهما قبائل ذات لهجات مختلفة وكثير من الموالي الفرس، مما عرّض اللسان العربي إلى الفساد ودعا إلى وضع أصول النحو[2].

أما أبرز النحاة فكانوا أمثال "أبي الأسود الدؤلي الذي كان شاعراً، قارئـــاً، حكـــيماً قبل أن يعرف بأنه أول من صنع في النحو صنعاً، وأبي عمـــرو بن العلاء[3] الذي كان أحد القراء السبعة المشهورين، وعيسى بن عمـــر الـــثقفي الذي عُرف بقراءته المشهورة وحذْقه للعربية، والخليل بن أحمد مخترع علم العَروض وعنه أخذ سيبويه جُلَّ آرائه النحوية، وسيبويه

---

(1) د. عوض بن حمد القوزي، المرجع السابق، ص101 .

(2) د. عزيزة فوال بابتي، المرجع السابق، ص141 .

(3) أبـــو عمـــرو بن العلاء، اختلف في اسمه. وكان مولده في نحو سنة سبعين. قرأ القرآن على سعيد بن جبير، ومجاهد، ويحيى بن معمر، وعكرمة، وابن كثير، وطائفة. وبرز في الحروف والنحو، واشتهر بالفصاحة والصدق وسعة العلم. وحدث عنه: شعبة، وحماد بن زيد، وأبو أسامة، والأصمعي، وشبابة بن سوّار، ويعلى بن عبيد، وأبو عبيدة اللغوي وآخرون.
قـــال الأصـــمعي: قال لي أبو عمرو "كن على حذر من الكريم إذا أهنته، ومن اللئيم إذا أكرمته، ومن العاقل إذا أحرجته، ومن الأحمق إذا مازحته، ومن الفاجر إذا عاشرته. وليس من الأدب أن تجيب من لا يسألك، أو تسأل من لا يُجيبك، أو تُحدِّث من لا ينصت لك- لمزيد من التفصيل انظر الذهبي، المرجع السابق، ج6، ص 407- 409.

كان طالب حديث قبل أن يصبح طالب نحو ولغة، والكسائي كان أحد القــراء المشــهورين ومؤدبــاً للخلفاء العباسيين، ثم هو بَعْدُ رأس النحاة الكوفيين. وفي القرن الثالث الهجري/-التاسع الميلادي- كان أبو العباس المــبرد قــائد المدرسة البصرية النحوية، وعرف عنه سَعة الرواية وحسن الأدب والشــعر. وفي القرن الرابع الهجري/-العاشر الميلادي- كان أبو سعيد السيرافي شارح كتاب سيبويه شرحاً حسده عليه معاصروه، وكان فقيهاً نحوياً، تولى القضاء ببغداد أربعين سنة و لم يأخذ على الحكم أجراً، وغيرهم كثير"[1].

لقــد كان الواحد من هؤلاء حجة في أكثر من فن، وفي ذلك قال الأصــمعي: "حدثني شعبة قال: كنت أختلف إلى ابن أبي عقرب فأسأله عـــن الفقه، ويسأله أبو عمرو بن العلاء عن العربية، فنقوم وأنا لا أحفظ حرفاً مما سأل، ولا يحفظ حرفاً مما سألته"[2].

"فالعالم في زمانهم دائرة معارف متحركة ناطقة، يدور مع طلابه في كل فلك، وتنبجس منه العلوم ثَرَّةً[3] وطالب العلم هو من لم تقتصر همته عــلى حقل واحد من حقول المعرفة. وفي هذا المجال أُثر عن السيرافي أنه تعلم القراءات والحساب والعروض والفرائض وغيرها، وحذقها كلها و لم يمت حتى أمكنه الله من تدريسها لمن تلقى مبادئها عنهم .

وكنت لا تجد مشتغلاً بالقرآن وعلومه، والحديث النبوي وعلومه، أو العلــوم الشــرعية الأخرى إلا ويكون النحو حجر الزاوية في تكوين ثقافته، وذلك أن النحو من هذه العلوم بمثابة المفتاح لدار مغلقة، فهو الآلة

---

[1] د. عوض بن حمد القوزي، المرجع السابق، ص102 .

[2] د. عوض بن حمد القوزي، المرجع نفسه، ص 102 .

[3] ثَرَّةً: غزيرة، كثيرة.

إلى معرفة كنوز العربية، وفهم أسرار مفرداتها وجملها، وهو أول مباحث الإنسان"[1].

وللدليل على ربط الفقه بالنحو ما ورد في رواية للزبيدي حيث يقول: "دخل أبو يوسف على الرشيد والكسائي يمازحه، فقال له أبو يوسف: هذا الكوفي قد استفرعك[2] وغلب عليك، فقال: يا أبا يوسف إنه ليأتيني بأشياء يشتمل عليها قلبي.

فأقبل الكسائي على أبي يوسف فقال: يا أبا يوسف هل لك في مسألة؟ قال: نحو أو فقه؟ قال بل فقه. فضحك الرشيد حتى فَحَصَ[3] برجله، ثم قال: تُلقي على أبي يوسف فقهاً ؟! قال: نعم. قال: يا أبا يوسف ما تقول في رجل قال لامرأته أنت طالق إن دخلت الدار؟ قال: إن دخلت الدار طلقت. قال: أخطأت يا أبا يوسف، فضحك الرشيد ثم قال: كيف الصواب؟ قال: إذا قال (أن) فقد وجب الفعل، وإذا قال (إن) لم يجب ولم يقع الطلاق. قال: فكان أبو يوسف بعدها لا يدع أن يأتي الكسائي"[4].

الشعر والنثر:

ومن العربية كان للشعر سموٌ اشتهر به العرب على مدى تاريخهم، وكان في شعر الإسلاميين المتقدمين علواً كادوا يسامون فيه أهل الجاهلية، بما اشتهروا به من محاسن البلاغة كالأحوص، وذي الرُّمَّة، وحسان بن ثابت، وعمر بن أبي ربيعة، والقطامي، وجرير، والفرزدق، والأخطل، وغيرهم كثير.

---

(1) د. عوض بن حمد القوزي، المرجع السابق، ص 102 – 103 .

(2) استفرع عليك: غلبك بحلمه.

(3) فحص: بحث وكشف.

(4) د. عوض بن حمد القوزي، المرجع نفسه، ص 104 .

"فكان لشعرهم من رقة الديباجة والرونق والحلاوة ما لا يظهر إلا في شـــعر البلغاء من الجاهليين، وربما انتهى بعضهم في المذاهب التي كانوا بهـــا آخذين إلى حيث تقف بلاغة الشعر كذكر الحماسة في كلام حسان ابن ثابت حيث يقول:

لنا الجَفْنات الغُرُّ[1] يلمعن في الضحا وأسيافنا يقطِرن من نجدةٍ دما

وكالاستئثار بالفخر في شعر الفرزدق الذي يقول فيه :

ترى الناس إن سرنا يسيرون خلفنا وإن نحن أومأنا إلى الناس وقَّفوا

وكالـــتوجع في الـــرثاء في قصيدة الهذليّ التي يجزع فيها على فقد أولاده إلا صغيراً بقي له، ومن جملتها البيت المشهور:

والنفس راغبــــة إذا رغّبتهـــــا وإذا تُـــرَدُّ إلى قليـــلٍ تَقنع" [2]

كمـــا كـــان لبعض الشعراء غايات في شعرهم ومنها خدمة اللغة، وخدمـــة المؤدبـــين اللغويـــين القائمين عليها، بما يمدونهم به من الشواذ والشـــوارد، بحيـــث أصـــبحت بعض أراجيزهم كأنها متـــون للحفظ والتســـميع[3]، وكان منها ما يستعمل لعدة أغراض أخرى، وعلى سبيل المثال لا الحصر ما ورد في الثلث من الميراث، حيث قال صاحب الرَّحَبِية في "باب من يرث الثلث":

والثلث فرضُ الأمِّ حيث لا ولد ولا من الإخوة جمـــع ذو عـــدد
كـــاثنين أو ثنتيـــن أو ثـــلاث حكـــم الذكـــور فيـــه كالإناث
ولا ابـــنُ ابْنٍ معهـــا أو بنتُـــهُ ففرضُهـــا الثلـــثُ كمـــا بيَّنتـــهُ
وإن يكـــــن زوجٌ وأم وأب فثلـــثُ الباقـــــي لهـــا مرتـــبُ

---

[1] الغُرُّ: بياض الوجه.

[2] جميل نخلة المدور، المرجع السابق، ص 181 .

[3] د. عزيزة فوال بابتي، المرجع السابق، ص140 .

وهكذا مـــع زوجة فصـــاعداً فلا تكن عن العلــوم قاعــــــداً
وهو للاثنيـــن أو ثنتيـــــــن مِن ولـــد الأمِّ بغيـــر مَيْـــــنِ[1]
وهكـــذا إن كثـــروا أو زادوا فمـــــا لهـــــــــم سواهُ زادُ
ويستوي الإناث والذكـــور فيه كمـــا قد أوضــح المسطـــور[2]

الخَطابة والنثر:

ارتقـــت الخطابـــة رقياً كبيراً في العصر الأموي، إذ اتخذها الحكام أداهم للظفر في آرائهم السياسية والانتصار في مجادلاهم المذهبية، وعولوا عليها في قصصهم ومواعظهم، وفي وفادهم على الخلفاء والولاة، ومن ثَمَّ أينعـــت فيها فروع ثلاثة هي: الخطابة السياسية وخطابة المحافل والخطابة الدينية[3].

فالخطابة السياسية كانت ترمز إلى الأحزاب السياسية، فكل حزب كـــان يـــتخذ الخطابـــة وسيلة إلى نقد خصومه وبيان نظريته السياسية واستمالة الناس إليها[4].

أمـــا خطابة المحافل فقد نمت في العصر الأموي "بحكم نمو السلطان العربي، فكانت الرجال والوفود تَقْدِمُ على الخلفاء والولاة لأغراض مختلفة: للشكوى أو للاستمناح[5]، أو للتهنئة أو للتعزية، أو للموعظة أو لغير ذلك من الأغراض، فيلقي الرجال والوفود خطباً يعرضون فيها حاجاهم.

---

(1) مَيْن: كذب وملق- ابن منظور، المرجع السابق، ج3، ص 111.

(2) لمزيد من التفصيل انظر د. فاطمـــة محجوب، الموسوعة الذهبيـــة للعلوم الإسلامية، م11، ص329 – 331 ، دار الغد العربي، القاهرة – مصر، ل. ت.. – المسطور: القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَكِتَـٰبٍ مَّسۡطُورٍ﴾، سورة الطور، الآية2.

(3) د. شـــوقي ضيف، الفن ومذاهبه في النثر العربي، ص67، مكتبة الدراسات الأدبية 19، دار المعارف، ط6، مصر، 1971م..

(4) د. شوقي ضيف، المرجع السابق، ص 68 .

(5) الاستمناح: طلب المنحة (العطية والهدية).

ومما يدخل في خطابة المحافل خطابة الإملاك والتزويج[1]، وخطابة الصلح بين العشائر"[2].

وتختلف الخطابة الدينية عن الخطابتين السابقتين من حيث أنها فريضة مكتوبة على المسلمين في صلاة الجمعة والعيدين وكان الخلفاء والولاة يؤمّون الناس في تلك الصلوات، وقد ترك هؤلاء الكثير من الخطابات الزاهرة، وكان أخطب الخلفاء في هذا الباب عمر بن عبد العزيز، كما أُثر عن الحَجّاج بن يوسف الثقفي الكثير من الخطب الدينية، وكان دائماً يقول: "أيها الناس إن الكف عن محارم الله أيسر من الصبر على عذاب الله"، وللولاة من قبله وبعده مواعظ ترويها كتب الأدب والتاريخ[3].

إلى جانب ذلك اهتم المسلمون أيضاً بالرسائل النثرية التي كانت تحرر باسم الخليفة، وتصدر إلى ولاته وعماله في الأقاليم، ذلك الفن الذي نما على يد عبد الحميد الكاتب[4] الذي يعتبر مؤسس الكتابة الفنية وواضع أصولها[5]، وكان أبلغ كتّاب الدواوين في العصر الأموي وأشهرهم، وقد ضربت ببلاغته الأمثال، فقيل فُتحت الرسائل بعبد الحميد، وختمت بابن العميد. ويقول ابن النديم: "عنه أخذ المترسِّلون[6]، ولطريقته لزموا، وهو

---

[1] خطابة الإملاك والتزويج: خُطبة الزواج التي تُلقى عند عُقْدِ القران، وهي من سنن النِّكاح.

[2] لمزيد من التفصيل انظر د. شوقي ضيف، المرجع السابق، ص 70 – 73 .

[3] د. شوقي ضيف، المرجع نفسه، ص 73- 74 .

[4] عبد الحميد الكاتب من أصل فارسي، التحق بديوان الرسائل في دمشق زمن هشام بن عبد الملك. واتصل بمروان بن محمد وكتب له أيام كان والياً. فلما آلت الخلافة إليه أقامه على ديوانه، فنهض بالعمل فيه خير نهوض. ولما سقطت الخلافة الأموية في يد العباسيين، فرّ مروان إلى مصر، وفرّ معه عبد الحميد حيث لقيا حتفهما في موقعة بوصير – انظر ابن خلكان، المرجع السابق، م11، ص 307.

[5] د. عزيزة فوال بابتي، المرجع السابق، ص140.

[6] التَّرَسُّل: كتابة الرسائل.

الـــذي ســـهَّل سبيل البلاغة في الترسل"[1]. ويعتبر عبد الحميد القمة التي وصـــلت إلـــيها الكتابة الفنية في العصر الأموي، ولم يبق من رسائله إلا منثورات،منها: رسالة وجهها إلى عمال مروان بن محمد بالأمصار يأمرهم بمحاربة لعبة الشطرنج، ورسالة ثانية يصف فيها رحلة صيد، ورسالة تقدم بهـــا إلى الكُتَّاب، ضمنها ما ينبغي للكتّاب أن يتقنوه من صنوف المعرفة والـــثقافة، ممـــا يعطينا فكرة عن الصفات التي يجب أن تتوافر في وظيفة الكـــتابة في زمنه، إذ لا يستطيع أن يحسن الكاتب وظيفة الكتابة إلا إذا كـــان ملماً بالثقافة الإسلامية، والثقافة العربية الأدبية من خطابة وغيرها، إلى أخـــبار الأمـــم الأجنبية ومعارفها إضافة إلى إتقانه الحساب، ورواية الأشعار والوقوف على غريبها ومعارفها. وفي ذلك قال: "فنافسوا معشر الكتّاب في صنوف العلم والأدب، وتفقهوا في الدين، وابدؤوا بعلم كتاب الله عز وجل والفرائض، ثم العربية فإنها ثِقَاف[2] ألسنتكم، وأجيدوا الخط فإنه حِلية كتبكم، وارووا الأشعار واعرفوا غريبها ومعانيها، وأيام العرب والعجم وأحاديثها وسِيَرها، فإن ذلك معين على ما تَسْمَوْنَ إليه بهممكم، ولا يضعف نظركم في الحساب فإنه قوام كُـــتَّاب الخراج منكم" [3].

هـــذا، وفي العهد العباسي تطور فن النثر كثيراً بحيث أصبح متعدد الفروع، فهناك النثر العلمي، والنثر الفلسفي والتاريخي، والأدبي الخالص، "وكان في بعض صوره امتداداً للقديم، وكان في بعضها الآخر مبتكراً لا عهد للعرب به، على شاكلة ما هو معروف في كتابات سهل بن هارون والجـــاحظ. وظلـــت الخطابة مزدهرة في أوائل هذا العصر، وإن كان قد أســـرع الذبول إلى الخطابة الحَفْلية، إذ لم تعد القبائل تَقْدُمُ بوفودها على الخلفاء كما كان الشأن في عصر بني أمية.

---

[1] د. شوقي ضيف، المرجع السابق، ص 114 .

[2] ثقفَ: ذا فطنة وفهم.

[3] د. شوقي ضيف، المرجع نفسه، ص115 .

أمـــا الخطابة السياسية فظلت فترة نشيطة، بحكم دعوة بني العباس لأنفســـهم، حتى إذا استقام لهم الأمر أصابها ما أصاب الخطابة الحفلية من الذبـــول، ومن خطبائهم المفوهين أبو العباس السفاح والمنصور والمهدي والرشيد والمأمون[1].

ثم غلبت العَجْمَة[2] على خلفائهم، فلم يعودوا يخطبون في أيام الجمع والأعياد إلا ما كان من الخليفة المهدي (255- 256هـــ./ 868- 869م.)، وفي أخـــبار الرشـــيد أنه عهدَ إلى الأصمعي أن يحفظ ابنه الأمين خطبة يخطب بها الناس في يوم الجمعة.

أمـــا خطابة الوعاظ فيظهر أنه ظل لها غير قليل من الازدهار، فقد كـــان خلفـــاء بني العباس يستنون بخلفاء بني أمية في استقبـــال كثيرين منهم"[3].

المناظرات الكلامية:

كما اشتهرت في العصر العباسي المناظرات الكلامية، وحمل لواءها المعـــتزلة[4] من أصحاب واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد، ولم يكن همهم

---

[1] لمـــــزيد من التفصيل عن الخطـــب يراجـــع الدينوري (عبد الله بـــن مسلم بـــن قتيبة، ت.ســـنة 276هـــ.)، عيون الأخبار، م2، ص251 وما بعدها،، دار الكتب المصرية، الهيئة العامة للكتاب، ط1، القاهرة- مصر، بيروت- لبنان، 1348هـــ./ 1930م..

[2] العَجْمَـــة: عـــدم إتقان العربية الفصحى إتقاناً تاماً لتوسع الاختلاط في الدولة العباسية مع الشعوب الأخرى التي لا تتقن العربية الفصحى إتقاناً تاماً.

[3] د. شوقي ضيف، المرجع السابق، ص 125 – 126 .

[4] المعـــتزلة: من الاعتزال، اعتزلوا جماعة أهل السنة، وانفردوا عنهم بآراء مشهورة بالأصول الخمســـة. ويُسمَّوْن بأهل التوحيد لأنهم جرَّدوا الله عن صفاته بحجّة توحيد الواجب أنهم اعتقدوا أن تعدد الصفات لله يؤدي إلى تعدد القديم وهو محال. ويُسمَوْنَ بأهل العدل لأنهم أوجبوا على الله أن يُعذّبَ العاصي. كما أوجب على نفسه أن يثيبَ المُطيع، وهما قسمان:

1-قدرية: ينفون القدر.

2- جبرية: ينفون الاختيار.

أن يردوا على مخالفيهم من الجهمية أصحاب جَهْم ابن صفوان الذي كان يقول بالجبر، والمرجئة الذين قالوا بأنه لا يجوز تكفير المسلم ولا الحكم على أعماله، حتى لو ارتكب كبيرة. لم يكن همهم أن يردوا على هاتين الفرقتين فقط، بل انصرف همهم إلى الرد على الدهرية والزنادقة.

وقد استطاع هؤلاء أن ينهضوا بالنثر العباسي نهضة كبيرة، (فقد كان المتكلم لا يحسن الكلام والاحتجاج لآرائه إلا إذا أخذ نفسه بثقافة فلسفية واسعة، يقول الجاحظ: "ولا يكون المتكلم جامعاً لأقطار الكلام متمكناً في الصناعة، يصلح للرياسة، حتى يكون الذي يُحسن من كلام الدين في وزن الذي يُحسن من كلام الفلسفة، والعالم عندنا هو الذي يجمعهما"[1].

ولم يكونوا يتثقفون بالثقافة الفلسفية وحدها، بل كانوا يتثقفون أيضاً بكل ضروب الثقافات التي عُرفت لعصرهم، حتى يجمعوا "التدابير العجيبة، والعلوم الغريبة، وآثار القول الصحيحة، ومحمود الأذهان اللطيفة، والحكم الرفيعة، والمذاهب القديمة، والتجارب الحكيمة، والأخبار عن القرون الماضية والبلاد النازحة والأمثال الثائرة". ويعترف الجاحظ بقيمة ذلك كله فيقول: "ولولا ما أودعت لنا الأوائل في كتبها، وخلدت من عجيب حكمتها، ودونت من أنواع سِيَرها، حتى شاهدنا بها ما غاب عنا، وفتحنا بها كل مستغلق كان علينا، فجمعنا إلى قليلنا كثيرهم، وأدركنا ما لم نكن ندركه إلا بهم، لقد خَسَّ[2] حظنا من الحكمة، ولضعف سببنا إلى المعرفة. ولو لجأنا إلى قدر قوتنا ومبلغ خواطرنا ومنتهى

= وخالفهم أهل السنة فأثبتوا لله ما أثبته لنفسه من ذات وصفات، ولم يوجبوا عليه شيئاً وجعلوا الإنسان مخيّراً والعاصي تحت المشيئة.

[1] الجاحظ (عمرو بن بحر)، كتاب الحيوان، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ج2، ص143، دار الجيل، بيروت – لبنان، 1416هـ. / 1996م..

[2] خَسَّ: ضَعُفَ.

تجاربنا لما تدركه حواسنا وتشاهده نفوسنا لقلت المعرفة وسقطت الهمة وارتفعت العزيمة، وعاد الرأي عقيماً، والخاطر فاسداً، ولكَلَّ [1] الحَدُّ وتبلّد العقل"[2].

والجاحظ المتكلم لا يعبر بهذا الكلام عن وجهة نظره وحده، وإنما يعبر عن وجهة نظر المتكلمين جميعاً لعصره)[3].

المقامات :

ظهر في العصر العباسي فن المقامات - جمع مقامة- وهي فن أدبي، اخترعه بديع الزمان الهمذاني[4]، ووضع أسسه وترتيبه على النحو الذي يقترب به من القصة، وهذا الفن هو ضرب من الأحاديث الأدبية التي يتخيل فيها صاحبها شخصاً من "المُكدِّين"[5]، و من المتسولين، يطوف من مكان إلى آخر، يستجدي الناس بفصاحته وبيانه[6].

---

(1) كَلَّ: تَعبَ.

(2) الجاحظ، المرجع السابق، ج1، ص85 .

(3) د. شوقي ضيف، المرجع السابق، ص 127 – 128 .

(4) بديع الزمان الهمذاني:(358– 398هـ./ 969- 1008م.) صاحب "المقامات" هو أحمد بن الحسين بن يحيى، شاعر وكاتب ولغوي، ولد في بلاد فارس، ولكنه عربي الأصل كما ورد في أحد رسائله:"اسمي أحمد، وهمذان المولد، وتغلب المورد، ومضر المتحد". اختلف إلى حلقات الدرس حيث تلقى علوم الدين واللغة والأدب، واتصل بالصاحب بن عباد وزير البويهيين، وذهب بعد ذلك إلى جرجان ونيسابور، وكانت هذه البلدة منطلق شهرته الأدبية، ففيها كتب جل مقاماته، وفيها علا نجمه بمناظرة أبي بكر الخوارزمي، أكبر أدباء عصره ومعلميه .
أخذ عنه الحريري أسلوب مقاماته. كان بديع الزمان قوي الحافظة ويُذكر عنه أن أكثر "مقاماته" ارتجال-خير الدين الزركلي، المرجع السابق، م1، ص 115- ولمزيد من التفصيل عن أدبه، انظر بديع الزمان الهمذاني، ديوان بديع الزمان الهمذاني، تحقيق يسرى عبد الغني عبد الله، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت – لبنان، 1407هـ./ 1987م..

(5) المكدّين: العاملين.

(6) أحمد أبو حاقة، إيليا حاوي، جوزيف الياس، أحمد أبو سعد، المفيد في الأدب العربي، ج1، ص 285 - 286، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، 1999م..

الخط العربي :

إن الخط العربي هو أداة التعبير الكتابي للغة، لذا فقد أخذ المسلمون بالاهـــتمام به منذ فجر الدعوة، وصار مصاحباً لانتشار اللغة، وبلغ شأواً بعيداً حيث صار يكتب به لغات غير عربية.

وقد عني المسلمون به عناية موضوعية من حيث التوضيح عن طريق ابتكار علامات الإعراب والإعجام، ومن حيث التجويد، وابتكار النسب الجميلة في كتابة الحروف والكلمات وتنسيق الجمل، وساعد على ذلك أن أصبح الخط العربي الوسيلة الأساسية لحفظ القرآن الكريم، بالإضافة إلى ما تشتمل عليه تعاليم الإسلام من تقدير للكتابة واعتبارها أداة للعلم. قال تعـــالى:﴿ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝ ﴾[1]. وقـــال جل شأنه: ﴿ نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝ ﴾[2].

وفي فترة ظهور الدعوة الإسلامية أعطى العرب المسلمون معنى لكل حـــرف، خاصة عند المتصوفة منهم. فكان للباء مثلاً "حرمتها لأنها أول حـــرف في القـــرآن، والجيم كانت كناية عن الصدغ والصاد هي مقلة الإنسانية، والهاء هي الهوية الإلهية عند ابن العربي، والميم كانت تعبيراً عن الضـــيق، أما الألف فلقد كانت ذات أهمية خاصة عند العرب لأنها مقام (أحـــد) وهي رمز لوحـــدة الله المطلقة. وعن سهـــل التستري الصوفي (ت. 896هـــ./ 1490م.) قال: إن الألف أول الحروف وأعظم الحروف وهو الإشارة في الألف إلى الله الذي آلف بين الأشياء وانفرد عن الأشياء، وللميم أهمية كبرى عند أهل التصوف، وكان هذا الحرف رمزاً للرسول محمد-ﷺ - إذ أن الفرق بين الله الأحد ورسوله الإنسان الكامل هو ميم

---

[1] سورة العلق، الآيتان 3- 4 .

[2] ســـورة القلم، الآية 1 – لمزيد من التفصيل عن أسرار الحروف يمكن مراجعة ابن خلدون، مقدمة العلامة ابن خلدون، فصل علم أسرار الحروف، دار الفكر، بيروت- لبنان، ل. ت..

واحـــدة. ولقـــد كان لكل حرف صورة تقابله[1]، فالألف تقابل القامة الجميلة المنتصبة، ويقول ابن المعتز:

كـــأن السقاة بين الندامـــى ألفـــات على السطـــور قيام

وصورة الجيم هي الأذن، والدال صورة العاشق الذي صار دالاً من شدة الحزن، والسين هي الأسنان الجميلة والميم الفم الجميل، وكانت الواو صورة الزورق والراء صورة الهلال وهكذا"[2] .

هذا بالإضافة إلى أن طبيعة الخط العربي وأشكال حروفه وما تمتاز به من الموافقـــة والمرونة هيأت له الفرص المناسبة للتحسين والتنويع، وليس أدل على ما تحمله أشكال الحروف العربية من بذور الخصب والابتكار من أن الحروف العربية كتبت بأكثر من ثلاثة آلاف هيئة، بل إن بعض الباحثين عدّ لحرف الهاء وحده نحو تسعمائة شكل مختلف[3]. وقد قيل في الخط: "الخط هو لسان اليد وبهجة الضمير وسفير العقول ووحي الفكرة وملاح المعرفة وناقل الخبر وحافظ الأثر"[4] .

أمـــا أصل الخط العربي فقد أُخذ عن الأنباط[5]. وشمل عدة أنواع، منها:

– **خط الرقعة**: الذي يتميز بحروفه القصيرة، وقد جاءت به المدرسة التركية العثمانية التي عنيت بالخط العربي وجودته. علماً أن هذا الخط لا علاقـــة له بخط الرقاع القديم. وقد ابتكر لغرض الكتابة في الدوائر الرسمية

---

[1] لمزيد من التفصيل عن أسرار الحروف يمكن مراجعة ابن خلدون، المقدمة.

[2] أحمد عبد الله سرحان، المرجع السابق، ص 67 – 68 .

[3] د. حســـن الباشـــا، أصول الحضارة الإسلامية، الـــدارة، العـــدد 1، ص 68، ربيع الأول 1395هـــ./ مارس 1975م..

[4] فوزي سالم العفيفي، جامع الخط العربي، ج1، ص 103، دار الكتاب العربي، ط1، دمشق – القاهرة، 1416هـــ./ 1996م..

[5] فوزي سالم العفيفي، جامع الخط العربي، ج1، ص 103.

سابقاً، ويستعمل في كتابة اللافتات الكبيرة وعناوين الصحف والإعلانات[1]. وتكتب حروفه وكلماته على السطر ولا ينزل عنه من الحروف إلا (ج ح خ ع غ م والهاء الوسطية). وجميع حروفه مطموسة عدا الفاء والقاف الوسطية. واتجاهات الخطوط الأفقية مائلة قليلاً إلى أسفل شمالاً. والحروف الطالعة تكون أسافلها بزاوية قائمة، وهذه ميزة هذا الخط كالخط الكوفي[2].

- **الخط الديواني:** جاء به العثمانيون لكتابة البراءات والرتب الرفيعة، وتقليد الأوسمة، وكل ما يصدر عن الديوان السلطاني[3].

ويمتاز هذا الخط "بأنه يكتب على سطر واحد ولا ينزل من تحت السطر غير حروف (ج ح خ ع غ م والهاء الوسطية وكاسة اللام، والكاف الممتدة تنزل عن السطر). أما الباء الممتدة النازلة عن السطر غير مستحسنة. ويمتاز هذا الخط بالمرونة الكاملة في كتابة جميع حروفه. ودرجة ميل هذا الخط أكثر من درجة ميل أي نوع آخر مع المرونة الدائرية في كل الحروف"[4].

- **الخط الديواني الجلي:** هو خط ديواني مشكول، ومعنى الجلي: الواضح، وهو متفرع من أصله الديواني. وسمي أيضاً بالخط المرسوم لأن الرسم يدخل في حروفه. وقد عرف في نهاية القرن العاشر وبداية القرن الحادي عشر الهجري/ أواخر القرن السادس عشر الميلادي، أيام الصدر الأعظم "شهلا باشا" العثماني. وفي هذا الخط يحتاج الخطاط إلى كثير من التعديل والتزويق لكتابة حروفه المتميزة بالتقويسات[5].

---

[1] أحمد عبد الله سرحان، المرجع السابق، ص 139 .

[2] فوزي سالم العفيفي، المرجع السابق، ج1، ص7 .

[3] لمزيد من التفصيل انظر أحمد عبد الله سرحان، المرجع نفسه، ص 147 .

[4] فوزي سالم العفيفي، المرجع نفسه، ج1، ص 46 .

[5] لمزيد من التفصيل انظر أحمد عبد الله سرحان، المرجع نفسه، ص 150 وما بعدها.

– **خـــط الإجـــازة**: و"يكتـــب هذا النوع في الإجازات الدراسية والشهادات العلمية ومقدمات بعض الكتب. ويسمى خط التوقيع"[1].

– **الخط الفارسي**: من الخطوط العربية القديمة، جاء به فنانو فارس، ولذلـــك سمي باسمهـــم. (ويسمى أيضاً "النستعليق" لاستخراجه من خط النسخ. وكلمة النستعليق هي مزيج من كلمتي "النسخ والتعليق". والتعليق هـــو خـــط الفرس الأول الذي اخترعوه، لكنه لم يدم طويلاً لعدم توفر العنصر الجمالي فيه، إضافة إلى كثرة انحداراته. وقد جاء بهذا الخط الخطاط الفارســـي "مير علي التبريزي") [2]. ومن مميزاته أنه لا يُشَكَّل ولا يُحَمَّل لأن أحجـــام حروفه وكتاباتها تشكل الجمال، ويمكن التشكيل في حدود قلـــيلة. ويمتاز هذا الخط أيضاً بميل كتابته إلى اليمين في الألفات واللامات وكاسات بعض حروفه[3].

– **خط الشاكسته**: يشمل عدد من الخطوط، من بينها على سبيل المـــثال لا الحصر، خط شكسته آميز الذي جاء به رجال الخط في فارس، وهو خليط من حروف التعليق وحروف الشكسته. ومعنى "آميز" الشبيه أو المثيل. وليس لهذا الخط قواعد خاصة به، وهو من الخطوط الشائعة في إيـــران. وقد استعمل في بلاد العراق وبعض البلاد الإسلامية الأخرى في فترة العهد العثماني[4].

– **الطغراء**: أول ما ظهر هذا الخط في تركيا. ويسمى كاتب هذا الخط (طغرائي)، ويعتبر من أصحاب المناصب الرفيعة في البلاط العثماني. وكـــلمة "طغـــراء" هـــي عبارة عن توقيع للسلطان العثماني، "ابتكرها الخطاطون آنذاك للحاجة إليها بدافع من أمرين:

---

(1) فوزي سالم العفيفي، المرجع السابق، ج1، ص 186 .

(2) أحمد عبد الله سرحان، المرجع السابق، ص 142 .

(3) فوزي سالم العفيفي، المرجع نفسه، ج1، ص 194 .

(4) أحمد عبد الله سرحان، المرجع نفسه، ص 146 .

- الأول: لكي لا تقلد بسهولة.
- الثاني: لكي تعكس جوانب العظمة والفخامة والسلطان"[1] .

وهـــذا الخـــط يمثل لوحة تجريدية حقيقية بانفراجاتها المستقلة المليئة بالأزهـــار المنتشرة بشكل حلذوني لملئ الفراغ حول الكتابة. وكتابة هذا الخـــط غامضـــة وصعبة القراءة إلا على الخبير[2]. وقد برع في هذا الخط حـــامد الآمدي الذي كتب ثلاث طغراوات وهي: طغراء السلطان "عبد الحميد الثاني"، وطغراء الملك "فيصل بن عبد العزيز" ملك المملكة العربية السعودية، وطغراء الأمبراطور "رضا شاه بهلوي" شاه إيران[3].

- **الخـــط الكـــوفي**: هو خط يابس حاد، ذو زوايا، تتميز حروفه بالاستقامة الرأسية والأفقية[4]. ومن سماته أنه بطيء عند الكتابة، وقد نبغ مـــن الكـــتّاب طائفة، تخصصوا في رسم هذا الخط وتفننوا به، حتى صار خطهـــم يلفت أنظار الآخرين فاقتدوا بهم. ومن أولئك النابغين خالد بن أبي الهياج، وقطبة المحرر، والضحاك بن عجلان، في أواخر العهد الأموي، وأوائل العهد العباسي، ثم إسحاق بن حماد، والأحول المحرر[5]، وغيرهم. وعلى أيدي هؤلاء المبدعين، بدأ الخط الكوفي يميل إلى الليونة[6].

- **الخط الكوفي[7] المصحفي** : استعمل في رسم المصحف لامتيازه

---

[1] أحمد عبد الله سرحان، المرجع السابق، ص 157 .

[2] أحمد عبد الله سرحان، المرجع نفسه، ص157 .

[3] لمـــزيـــد من التفصيل عن حامد الآمـــدي انظر أحمـــد عبد الله سرحان، المرجـــع نفسه، ص 206 - 209.

[4] فوزي سالم العفيفي، المرجع السابق، ج1، ص 299 .

[5] الأحـــول المحـــرر: خطاط كبير.كان أستاذ مهندس الخط العربي ابن مقلة – أحمد عبد الله سرحان، المرجع نفسه، ص 216 .

[6] د. فاطمة محجوب، المرجع السابق، م16، ص36 .

[7] الخط الكوفي نسبة إلى الكوفة، وهي أول حاضرة عربية ينسب إليها الخط، وقد اشتهر فيها جماعة من النساخ المجيدين، وأخذت خطوط النساخ تتقارب في أوضاعها ورسومها، حتى نسب هذا النسق من الخط إلى الكوفة- د.فاطمة محجوب، المرجع نفسه، م1، ص36 .

بالكـــثير من المرونة. وتوجد إبداعات جميلة في الكتابة الكوفية تزخر بها التحف والآثار[1] .

- **الخط الكوفي الهندسي**: وقد وصفه الأستاذ معروف زريق بقوله: "ويســـمى أيضـــاً (الخـــط الثلثي الهندسي)، حيث تنضد فيه الكلمات والحروف بتصميم هندسي بديع، يقوم على أسس علم الجمال، كمبادئ التـــناظر والانســـجام والوحـــدة، وقـــد تفوق في هذا النوع من الخط، الخطـــاطون عبد العزيز الرفاعي[2] وحامد الآمدي"[3]. ويكتب هذا الخط بأشـــكال هندسية فنية. ومن هذا الخط، الخط الكوفي الهندسي التربيعي: حيـــث تكتـــب كلماته "داخل المثلث أو المربع أو غيره بصورة متشابكة مـــتداخلة يصعب قراءتها. ومن أمثلته الكثيرة ما نراه على جدران أروقة مســـاجد بغداد وكربلاء والنجف وسامراء، وفي مصر بمسجد السلطان قـــلاوون ومســـجد زيـــن الدين يوسف، وتربـــة أم السلطان ومسجد البرديني"[4].

- **خـــط النسخ**:سمي كذلك لأن الكتّاب ينسخون به المصاحف والمؤلفات. وهو خط جميل رائق، خال من اليبس وتقل فيه الزوايا الحادة. وقد أرسى قواعده ابن مقلة[5]، وكان يسميه الخط..................

[1] فوزي سالم العفيفي، المرجع السابق، ج1، ص 298 - 299 .

[2] عـــبد العزيز الرفاعي: تركي المولد (1288هـــ./1871م.)، قام بكتابة وتذهيب نسخة من القرآن عندما طلبه ملك مصر فؤاد الأول- أحمد عبد الله سرحان، المرجع السابق، ص228.

[3] د. فاطمة محجوب، المرجع السابق، م 16، ص 36 .

[4] أحمد عبد الله سرحان، المرجع السابق، ص 127 .

[5] ابن مقلة: (272-328 هـــ./885-939م.) هو أبو علي محمد بن علي بن الحسن بن عبد الله، وعرف بابن مقلة لأنه كانت له أم، وكان أبوها يلاعبها في صغرها ويقول لها يا مقلة أبيها، فغلب عليها هذا الاسم واشتهرت به، فكان ذلك سبباً لغلبة الاسم عليه فلقب بابن مقلة. وهو من مواليد بغداد، وكان أديباً شاعراً، وخطاطاً ماهراً، وذو اطلاع واسع باللغة، وقدرة فائقـــة بالـــنحو والصرف، وإلمام واسع بالهندسة، مما ساعده على تطوير الخط. ومن آثاره رســـالة بعنوان "ميزان الخط "، و"رسالة الوزير ابن مقلة في علم الخط والقلم" - لمزيد من التفصيل انظر أحمد عبد الله سرحان، المرجع نفسه، ص 72 .

الــــبديع[1]. ويمـــتاز هذا الخط بميل خفيف عند كتابته، وبوجود التشكيل الذي يبين العلامات الإعرابية، وشكل الحروف مع الاتصالات بينها يظهر سمك القلم ورفيعه وهذا من جمال هذا النوع[2] من الخطوط. وقد اشتهر برســـم هـــذا الخـــط ياقوت المستعصمي وابن البواب والحافظ عثمان ومصطفى الراقم[3].

– **خـــط الثلث**: هو أحد الخطوط العربية القديمة، وسمي أيضاً بخط الثلـــث: لأنـــه يكتب بقلم، يبرى رأسه بعرض يساوي ثلث قطر القلم، ويسميه بعضهم بالخط العربي، لأنه كان المنهل الأساسي لأنواع كثيرة من الخطـــوط العربـــية، جاءت بعد الخط الكوفي[4]. وكان الخطاط لا يعتبر خطاطـــاً إلا إذا أتقن هذا الخط وذلك لصعوبة قواعده؛ ولذلك يقال له: "أم الخطـــوط"[5]. وقـــال عـــنه د.مجـــاهد توفيق الجندي: (ومن كُتّاب المصاحف، والذي اشتهر بتجويد الخط وتحسينه قبل أن يكون للخط شأن يذكـــر هو "الحسن البصري". وقيل: إنه هو الذي قلب القلم الكوفي إلى النسخ والثلث)[6].

ومـــن خط الثلث ما يعرف بخط الثلث الجلي[7]، لأن نسبة عرض الحـــرف إلى مساحته أكبر من نسبة عرض الحرف في الثلث العادي إلى مساحته.

وقـــد استعمل هذا الخط لكتابة العناوين البارزة، وكتابة اللوحات الفنـــية الخالدة. وقد تفوق في هذا الخط، الخطاطون: إبراهيم علاء الدين

---

[1] أحمد عبد الله سرحان، المرجع السابق، ص 131 .

[2] فوزي سالم العفيفي، المرجع السابق، ج1، ص 103 .

[3] أحمد عبد الله سرحان، المرجع نفسه، ص 131 .

[4] لمزيد من التفصيل انظر د. فاطمة محجوب، المرجع السابق، م11، ص326 – 328 .

[5] لمزيد من التفصيل انظر أحمد عبد الله سرحان، المرجع نفسه، ص136 وما بعدها.

[6] د. فاطمة محجوب، المرجع نفسه، م 16، ص 36 .

[7] أي الواضح، وقد سبق ذكره.

حقي[1]، ممدوح الشريف، محمد شفيق، صبري سامي، كامل البابا[2]، أحمد كامل[3]، حسني البابا[4]، هاشم محمد البغدادي[5]، حامد الآمدي.."[6].

ومـــن خـــط الثلث أيضاً الثلثي المتأثر بالرسم. وقد تفوق في هذا الميدان حامد الآمدي، عبد العزيز الرفاعي، وليد مهدي[7].

وهـــناك أيضاً نوع آخر من الخط هو الثلثي المتناظر، أو المتعاكس، ويسمى أيضاً خط المرآة الثلثي. وسمي بذلك لأن الجانب الأيمن فيه يعكس مـــا هو موجود في الجانب الأيسر، فكأن بين الجانبين مرآة. وهذا الخط تكتـــب فـــيه اللوحة مرتين: إحداهما بالشكل الطبيعي، والأخرى بجانبها وبالشكل المقلوب بحيث يناظر الأول[8].

ومن خط الثلث أيضاً الثلثي المحبوك، مفاده حسن التوزيع والترتيب في الـــبقعة المـــراد الكتابة عليها بحيث تخرج الكتابة فيها بشكل متوازن.

---

[1] إبراهـــيم علاء الدين حقي: (1260 – 1305 هـــ./ 1844- 1887م.)، خطاط تركي ماهر، أجاد خطي الثلث والنسخ – أحمد عبد الله سرحان، المرجع السابق، ص 225 .

[2] كامل البابا: خطاط لبناني. من آثاره كتاب "روح الخط العربي"، طبعة دار العلم للملايين، سبقت الإشارة إليه .

[3] أحمـــد كـــامل: (1278 – 1360هــ./ 1861- 1941م.) خطاط تركي كبير عرف برئيس الخطاطين . ولد في اسطنبول، ونال وساماً سلطانياً على حبه للخط وإجادته له. كتب على المسجد المعروف بمسجد محمد علي – أحمد عبد الله سرحان، المرجع السابق، ص 226 .

[4] حســـني البابا: خطاط دمشقي الأصل، درس في مدرسة تحسين الخطوط الملكية في القاهرة، وتوفي في مصر – أحمد عبد الله سرحان، المرجع نفسه، ص 224.

[5] هاشـــم محمـــد الـــبغدادي: من مشاهير الخطاطين العراقيين.من آثاره تصميم المسكوكات والعمـــلات الوطنية في بلده وبعض البلاد العربية، وله عدد من الزخارف وخطوط للآيات القرآنـــية في واجهـــات ومحاريب أكبر وأضخم مساجد العراق. ومن آثاره الخطية كراسة "قواعد الخط العربي"- لمزيـــد من التفصيـــل انظر أحمد عبد الله سرحان، المرجع نفسه، ص 212 – 214 .

[6] د. فاطمة محجوب، المرجع السابق، م11، ص 325 .

[7] د. فاطمة محجوب، المرجع نفسه، م11، ص334 .

[8] د. فاطمة محجوب، المرجع نفسه، م11، ص 335 .

وهـــناك الثلثي الهندسي– أي: الزخرفي، وخط الثلثين اخترعه في العصر العباسي الخطاط إبراهيم الشجري، وكان ذلك في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي. وقد أخذ صاحب هذا الخط معالمه من خط كان يوجد قبله واسمه "الخط الجليل".

وقـــد سمي بخط الثلثين، لأنه يكتب بقلم يبرى رأسه، بمسافة تعادل ثلثي قطر القلم، الذي يكتب به[1].

هـــذا، وقد تعددت أنواع الخطوط حتى قال الخليفة المأمون كلمته المشـــهورة فيه: "لو فاخرتنا الملوك الأعاجم بأمثالها، لفاخرناها بما لنا من أنـــواع الخط لشرفه، يقرأ في كل مكان، ويترجم بكل لسان، ويوجد في كل زمان"[2]. مما يدل على أهميته وسعة انتشاره بين الأقطار.

ولم تقتصر أنواع الخط على بلاد المشرق فحسب بل امتد الأمر إلى بـــلاد المغرب الإسلامي، ليشمل أنواعاً كثيرة. ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

- **الخـــط المغربي**: المشتق من الخط الكوفي القديم، وقد كان يسمى (بخط القيروان)[3]، وكانت حروفه مستطيلة مزواة .
- **الخـــط الأندلســـي أو القرطبي**: نسبة إلى قرطبة- من أعمال الأندلس-، وكان مقوس الأشكال.

وفي شمال أفريقية هناك عدة خطوط منها:

- **الخط التونسي**: ويشابه الخط المشرقي.
- **الخط الجزائري**: وهو ذو زوايا.

---

[1] د. فاطمة محجوب، المرجع السابق، م 11، ص337 .

[2] أحمد عبد الله سرحان، المرجع السابق، ص65 – وانظر فاطمة محجوب، المرجع نفسه، م 16، ص 36 .

[3] القيروان: أسست في المغرب سنة (50 هــ./ 670م.).

- **الخط الفاسي**: نسبة إلى مدينة فاس، ويمتاز هذا الخط باستدارات في حرف النون، والياء الأخيرة، والواوات، واللامات، والصاد والجيم وما شابه[1].

هندسة الحروف:

تدخل هندسة الحروف في علم الخط، إذ يذكر ابنُ مقلة في رسالته عـــن شـــكل الحروف مثل حرف الراء: "إنه خط مقوس، هو ربع محيط الدائـــرة التي قطرها الألف وحرف النون، شكل مركب من خط مقوس هو نصف الدائرة، وقال: واعتبار صحتها أن يُوصلَ بها إلى مثلها، فتكون دائرة"[2].

وكـــان اليونان قد عملوا الهندسة في حروفهم على طريقة بنائها في الدوائر، ولما كانت الثقافة اليونانية منتشرة في العراق والشام والإسكندرية كـــان من الطبيعي عندما آلت هذه البلاد إلى المسلمين أنهم اقتبسوا هذه العلوم وهضموها بما يتلاءم مع أذواقهم .

ومن الأدلة على استعمال المسلمين لاستعمال الهندسة في الحروف، المحـــاورة الآتية التي سجلها التوحيدي في كتابه: (مثالب الوزيرين): "إن صديقاً لابن ثوابة الكاتب[3] ابن عباس يكنى أبا عبيدة، قال له ذات يوم: إنـــك رجلٌ- بحمد الله ومِنَّة- ذو أدب، وفصاحة، وبراعة، وبلاغة، فلو

---

(1) علي رواي، المرجع السابق، ص23 .

(2) محمد بن سعيد شريفي، اللوحات الخطية في الفن الإسلامي المركبة بخط الثلث الجلي، دراسة فنـــية في تاريخ الخط العربي، ص126، دار ابن كثير، دمشق- سورية/ بيروت- لبنان، دار القادري، دمشق- سورية/ بيروت- لبنان، ط1، 1419هـــ./ 1988م.- نقلاً عن ابن مقلة، ص 120 و135 .

(3) هو أحمد بن ثوابة الكاتـــب، كاتب ديوان الرسائل لمعـــز الدولة (ت.349هـــ./ 960م.)، - يـــاقوت الحموي، معجم الأدباء، سلسلة الموسوعات العربية، ص 144، راجعته وزارة المعارف العمومية، دار المأمون، مكتبة عيسى بابي الحلبي وشركاه، القاهرة - مصر، ل.ت..

أكملت فضائلك بأن تضيف إليها معرفة البرهان القياسي، وعلم الأمثال الدالة على حقائق الأشياء، وقرأت كتاب إقليدس وتدبرته. فقـــال له ابن ثوابـــة: وما إقليدس؟ قـــال له: رجل من علماء الروم يُسمى بهذا الاسم، وضـــع كـــتاباً فيه أمثال كثيرة مختلفة تدل على حقائق الأشياء المعلومة والمغيَّـــبة، يشحذ الذهن، ويدقق الفهم، ويلطف المعرفة، ويصفي الحاسة، ويثبت الرؤية، ومنه أنتج الخط، وعرفت مقادير المعجم"[1].

وبعـــد أن عمـــل المســـلمون في هذا العلم وهضموه بما يتلاءم مع أذواقهـــم الجمالية أضحى علم "الخط العربي في مظهره بعيداً عن الهندسة البحتـــة، وإن بدت في الحروف اللاتينيـــة، كمـــا ليس له أدنى اشتباه أو صلات بهذه الحروف، لأن الفنان المسلم أخذ من الهندسة هيكلها، ونسبها الجمالـــية، ثم كســـاها بالترطيب المناسب للذوق العربي، ومثاليته في بناء حروفه هي: الوضوح، الاختزال، والجمال"[2].

ولا يذهـــب بنا الفهم بارتكاز الكتابة العربية على قواعد استعملها الإغـــريق اقتباساً من كتاب إقليدس أنه تبعية للأجانب، فإن الحضارات تأخذ بعضها من بعض، والتراث الغربي سبق وأن أخذ عن الشرق: الدين، وعلـــوم الفلك، وعلوم البحار، وغيرها، بل الحروف ذاتها أخذها الغرب من الكنعانيين وهم الفينيقيون[3].

بعد هذه العناية التي أولاها المسلمون للخط العربي أصبح هذا الخط يحـــتل مكـــان الصدارة بين الفنون الإسلامية، وصار يمثل أحد العناصر الزخرفـــية الأساســـية في جميع العصور والأقطار، وظهرت بصماته على الـــتراث الإسلامي، وأصبح برفقة اللغة العربية وسيلة للتعبير عن الحضارة الإسلامية.

---

[1] محمد بن سعيد شريفي، المرجع السابق، ص127 .

[2] محمد بن سعيد شريفي، المرجع نفسه، ص 128 .

[3] محمد بن سعيد شريفي، المرجع نفسه، ص 128 .

الفصل الثاني

العلم والتراث

الجامعات والمكتبات

الدعوة إلى طلب العلم:

الحمد لله الذي خلق الإنسان وعلمه البيان وجعله خليفة في الأرض ليعمّرها ويذكر الله فيها. وأول دعوة قرآنية كانت الحث على طلب العلم وقد خطها القرآن الكريم بأحرف من نور، ألا وهي قوله جل وعلا: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ ﴾ [1].

ومن التوجيهات القرآنية في طلب العلم، قوله تعالى: ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾[3]... فالله تبارك وتعالى لم يأمر نبيه بطلب الازدياد من شيء إلا العلم. فقال جل من قائل: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[4]، كما قال جل جلاله: ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ﴾[5].

وقال جل ثناؤه: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝١٠٤ ﴾[6]، فقال سبحانه: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ ﴾ و لم يقل "لتكونوا جميعكم" ولو قال ذلك لما استقامت أمور الناس لإعمار الكون، فهذا الإعمار يجب أن يكون متنوعاً لتستقيم أمور الناس، ولذلك كان هناك فرض العين وفرض الكفاية ففي حين كان فرض العين على كل مسلم ومسلمة وهو ما طلب الشرع فعله طلباً جازماً بدليل قطعي لا شبهة فيه، كأركان الإسلام الواردة في القرآن

---

[1] سورة العلق، الآية 1 – 5 .

[2] سورة المجادلة، الآية 11.

[3] سورة طه، الآية 114.

[4] سورة الزمر، الآية 9.

[5] سورة التوبة، الآية 122.

[6] سورة آل عمران، الآية 104.

الكـــريم[1]، وطلب العلم لقول النبي الكريم ﷺ :"طلب العلم فريضة على كل مسلم"[2]، بينما فرض الكفاية كالجهاد مثلاً يُفرض على جميع من هو أهل للجهاد، لكن إذا قام به البعض سقط عن الباقين[3]، كذلك الاهتمام بكافة شؤون المجتمع من طبابة وصناعة وتجارة وزراعة... إلخ.، أما إذا لم يقـــم أحد بفرض الكفاية في أي مجال من المجالات فإن المجتمع الإسلامي بأكمله يأثم.

وفي الحـــث على طلب العلم وفضل العلماء قال ﷺ : "العلماء هم ورثة الأنبياء"[4].

وقـــال ﷺ في حديـــث حول العلم النافع :"إذا مات ابن آدم انقطع عملـــه إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له" [5].

وقـــال نبينا الكريم ﷺ: "الحكمة ضالة المؤمن، فحيث وجدها فهو أحق بها"[6].

وفي حديـــث آخـــر: "فضـــــل العالِم على العابد كفضلي على أدناكم"[7].

---

[1] د. وهبة الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، ج1، ص 51، دار الفكر، ط3، دمشق- سوريا، 1409 هـــ./ 1989 م..

[2] الطبراني (أبـــو القاسم سليمان بـــن أحمد الطبراني ت. 360هـــ.)، المعجم الأوسط، ج3، ص 57، تحقـــيق طـــارق ابـــن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة- مصر، 1415هـــ..

[3] د. وهبة الزحيلي، المرجع نفسه، ج6، ص 416.

[4] رواه الـــبخـــاري، صـــحيح البخاري، ج1، ص 37، دار ابن كثير، ط3، بيروت- لبنان، 1407هـــ./ 1987م..

[5] رواه مســـلم، تفسير ابن كثير، (إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي ت. 774هـــ.)، ج1، ص 184، دار الفكر، بيروت- لبنان، 1401هـــ..

[6] الترمذي، المرجع السابق، ج5، ص 51.

[7] الترمذي، المرجع نفسه، ج5، ص 50.

وقال ﷺ أيضـــاً: "ومـــن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهّلَ الله له طريقاً إلى الجنة"[1].

وقـــــال ﷺ: "مـــن خـــرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع"[2].

وعـــن معاذ بن جبل ﷺ قال: "تعلموا العلم، فإن تَعَلُّمَهُ لله خَشيةٌ، وطلبَهُ عبادةٌ، ومذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمَه لمن لا يعلمُهُ صدقةٌ وبذله لأهله قربةٌ"[3].

والمقصـــود هـــنا العلم الديني، لكن أكثر العلوم خاصة النافعة منها اعتـــبرت في رأي ابن خلدون ضمن العلوم المطلوبة، كالعلوم اللغوية مثلاً أو كما يسميها علوم اللسان العربي من لغة ونحو وبيان وأدب، فقد اعتبر معرفتها ضرورية على أهل الشريعة[4].

ثم اتســـع مدلول العلم فيما بعد ليشمل كل العلوم النافعة والمفيدة للأمة الإسلامية والتي ترعى شؤون دينهم ودنياهم.

وقد بدأت بدايات تأثير الحث على التعليم تظهر في مسلمي العهد النـــبوي، حيـــث بدأ النشاط الثقافي في المدينة المنورة منذ أن اتصل أهل المدينة برسول الله ﷺ في مكة وأسلموا... ويظهر ذلك حينما ذهب أحد الأنصار إلى مكة وتعلّم القرآن من رسول الله ﷺ ثم رجع إلى المدينة ليقوم بالـــتدريس، وهـــناك على سبيل المثال رافع بن مالك الأنصاري، الذي أعطـــاه رســـول الله ﷺ مـــا أُنزل إليه من القرآن في السنوات العشر التي

---

(1) القرطبي، المرجع السابق ج1، ص8.

(2) الترمذي، المرجع نفسه، ج5، ص 29.

(3) عبد العظيم بن عبد القوي المنذري (ت. 656هـــ.)، المرجع السابق، ج1، ص 52- وانظر الغزالي، المرجع السابق، ج1، ص11.

(4) ابن خلدون، المرجع السابق، ص 545.

خلت، فقدم به رافع إلى المدينة ثم جمع قومه، وقرأ عليهم القرآن، وكان أول مَنْ قدم المدينة بسورة يوسف[1].

وكتب الأنصار إلى رسول الله ﷺ وهو في مكة: "ابعث إلينا رجلاً يفقهنا في الدين، ويقرئنا القرآن" فبعث إليهم مصعب بن عُمَيْر، فكان يقرئهم القرآن ويُعَلّمهم[2].

النشاط الثقافي:

بدأ النشاط الثقافي في مسجد رسول الله ﷺ الذي كانت مهمته الرئيسة العبادة وتعليم الناس أمور دينهم، وكان جزء من المسجد النبوي قد خُصص لأهل الصُّفّة[3] الفقراء الذين كانوا يعيشون بجوار المسجد، وكان أهل الصُفة يتلقون التعليم من بعض الصحابة، لمَا رَوى عبادة بن الصامت عن نفسه قائلاً: "علّمتُ أناساً من أهل الصُّفّة الكتابة والقرآن، فأهدى إليّ رجل منهم قوساً"[4].

وقام بعض الصحابة بتعليم الكتابة والقرآن في المدينة لما "ورد أن رسول الله ﷺ أمر عبد الله بن سعيد بن العاص أن يُعلّم الكتابة بالمدينة وكان كاتباً محسناً، وقُتل يوم بدر شهيداً"، وهو الحكم بن سعيد، وسماه رسول الله ﷺ "عبد الله"[5].

---

(1) الكتاني (عبد الحي بن شمس الكتاني)، نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية، ج1، ص 44، الناشر حسن جعنا، يطلب من محمد أمين دمج، بيروت- لبنان، ل. ت..

(2) محمد محمد حسن شراب، في أصول تاريخ العرب الإسلامي، ص 157، دار القلم، دمشق- سورية، دار الشامية، بيروت- لبنان، ط1، 1413هـ./ 1993م..

(3) الصُّفّة: مكان مرتفع نسبياً بجوار المسجد النبوي، ومكانه الآن ضمن المسجد وبمكان قريب من الحجرة الشريفة.

(4) النيسابوري (محمد بن عبد الله ت. 405هـ.)، المستدرك على الصحيحين، ج2، ص 48، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت- لبنان، 1411هـ./ 1990م..

(5) ابن عبد البر (يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر ت. 463هـ.)، الاستيعاب، ج3، ص920، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل، ط1، بيروت- لبنان، 1412هـ..

ووُجد من الصحابيات مَنْ يُعلّمن الكتابة لِما جاء في ترجمة الشِّفاء أم سليمان بنت أبي حتمة، من أن رسول ﷺ قالَ لها: "علّمي حفصة رقية النملة كما علمتها الكتابة"[1].

وفي مجـــال التعلـــيم لم يترك المسلون فرصة تفوقم في ظل الهدي النبوي، فكانت الاستفادة من أُسارى بدر الذين عجزوا عن دفع الفداء، فكان منهم مَنْ لا مـــال له، فيُقبـــل منه الفداء مقابل تعليم عشرة من الغلمان الكتابة ويُخْلى سبيله، فيومئذ تعلّم الكتابة زيد بن ثابت في جماعة من غلمان الأنصار.

أما القبائل والأشخاص الذين كانوا يفدون على رسول الله ﷺ، فقد كانوا يُوَزّعون على دور الأنصار ليقوموا بضيافتهم وتعليمهم. وقد ورد في مجمـــع الـــزوائد أن "سَأَلَ رسول الله ﷺ وَفْد عبد القيس: كيف رأيتم كرامة إخوانكم لكم وضيافتكم إياهم؟ قالوا: خَيْرُ إخوان، ألانوا فراشنا، وأطابوا مطعمنا، وباتوا وأصبحوا يعلّموننا كتاب ربنا تبارك وتعالى، وسنة نبينا ﷺ فَأُعْجِبَ النبي ﷺ وفرح بها ثم أقبل علينا رجلاً رجلاً يعرضنا على من يعلمنا وعَلَّمَنا فَمنَّا من علم التحيات وأم الكتاب والسورة والسورتين والســـنن فأقبل علينا بوجهه فقال : هل معكم من أزوادكم ففرح القوم بذلـــك وابـــتدروا رواحـــلهم فأقبل كليب رجل منهم معه صرة من تمر فوضعها على قطع بين يديه..."[2].

وفي ظل الصحبة النبوية وتتابع نزول الوحي على قلب الرسول ﷺ كـــثر عدد القراء في المدينة، وكان منهم عدد كبير كان يرسلهم الرسول

---

[1] ابن عبد البر، المرجع السابق، ج4، ص 1869.

[2] الهيثمي (علي بن أبي بكرت. 807هـ)، مجمع الزوائد، ج 8، ص 178، دار الريان للتراث/ دار الكتاب العربي، القاهرة- مصر، بيروت- لبنان، 1407هـ.- وانظر محمد محمد حسن شراب، المرجع السابق، ص158 - 159.

الكـــريم ﷺ ليعـــلموا الناس، ومن ذلك ما ذكره أنس بن مالك ﷺ حينما قـــال:"جـــاء ناس إلى النبي ﷺ فقالوا: ابعث معنا رجالاً يعلمون القرآن والســـنة، فبعث إليهم سبعين رجلاً من الأنصار، يقال لهم القراء، كانوا يقرؤون القرآن ويتدارسون بالليل ويتعلمون، وكانوا بالنهار يجيئون بالماء فيضـــعونه بالمسجد، ويحتطبون فيبيعونه ويشترون به الطعام لأهل الصِّفَّة والفقراء، فبعثهم النبي ﷺ"[1].

وفي السنة الثالثة من الهجرة قدم إلى رسول الله ﷺ، بعد أُحد، رهط من عُضَلَ والقارَّة [2] ، فقالوا: "يا رسول الله، إن فينا إسلاماً، فابعث معنا نفراً من أصحابك يفقهونا في الدين ويقرؤونا القرآن ويعلموننا شرائع الإسلام فبعث رسول الله معهم ستة نفر..." [3] . وأرسل النبي ﷺ معاذ بن جبل إلى اليمن، وأرسل عمرو بن حزم إلى نجران ليفقه أهلها، وكتب له كتاباً في الفرائض والسنن والصدقات والديات.

وبانتشـــار الكتابة والتعليم بالمدينة المنورة كَثُر عدد الكُتّاب فيها، ويـــدل عـــلى ذلـــك نزول آية الدَيْن[4] التي أَرشَدت المسلمين إلى كتابة معاملاتهم التجارية... ونزول هذا الحكم دليل على أن المجتمع بلغ درجة مـــن معرفة القراءة والكتابة يَسْهل معها العمل بهذا الأمر. ومما يدل على انتشار الكتابة والقراءة في مجتمع المدينة أيضاً وجود عدد كبير من الكُتّاب المختصـــين برســـول الله ﷺ أوصلهم بعض المؤرخين إلى حوالي خمسين

---

[1] الزهـــري (محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله البصري الزهري ت. 230هـــ.)، الطبقات الكبرى، ج3، ص514، دار صادر، بيروت- لبنان، ل. ت..

[2] من أسماء القبائل.

[3] الطبراني (سليمان بن أحمد بن أيوب ت. 360هـــ.)، المعجم الكبير، ج20، ص 327، تحقيق حمـــدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، ط2، الموصل- العراق، 1404هـــ./ 1983م..

[4] سورة البقرة، الآية 282 وهي أطول آية في كتاب الله.

كاتباً... موزعين على اختصاصات متنوعة [1]، مما يعني أن هناك عشرات غيرهم في المجتمع.

ومما ساعد على نشر التعليم أيضاً أن التلاميذ قد أتقنوا العلوم زمن النـــبوة، وغَدَوْا معلّمين حتى إنهم بلغوا منـــزلة المشيخة، فصار منهم من تصــــدر للإفتاء كعدد من أصحاب رسول الله ﷺ أيام نزول الوحي على قلب المصطفى ﷺ [2].

العلوم التي كان المسلمون يتداولونها في العصر النبوي:

بلغت العلوم زمن النبوة عدداً لا يستهان به فكانت تشمل :

1 - القرآن الكريم.
2 - الحديث النبوي.
3 - التفســـير: كان يقتصر على ما سأل عنه الناس رسول الله ﷺ أو ما فسره رسول الله ﷺ.
4 - الأنساب: أمر النبي ﷺ حَسَّاناً ﷺ، أن يذهب إلى أبي بكر الصديق ﷺ ليعرف منه أنساب قريش ويدله على عوراتهم ليهجُوَهم، وفي صحيح البخاري أبواب عن أنساب العرب.
5 - شعر الانتصارات الإسلامية.
6 - أخبار الغزوات النبوية.
7 - الأحكام الفقهية[3].
8 - الطب.
9 - الحرث والزراعة (حديث تأبير - تطعيم- النخل).

---

(1) الكتاني، المرجع السابق، ج1، ص 116.
(2) محمد محمد حسن شراب، المرجع السابق، ص159 - 160.
(3) محمد محمد حسن شراب، المرجع نفسه، ص 162.

10 – تاريخ الأمم الماضية مما جاء في القرآن الكريم، وقَصص الأنبياء التي قصها رسول اللهﷺ.

11 – عـــلم الأحياء: جاء من معرفتهم بالخيل والإبل، ومعرفتهم بالصيد وأحكام الذبح، ومراحل تكوين الجنين.

12 – علم الوراثة: قصة الرجل الذي جاءه ولد أسود، وإشارة الرسول ﷺ إلى الجمـــل الأورق من ناقة بيضاء وحديث: "وانظر في أي نصاب تضع ولدك فإن العرق دسّاس"[1].

13 – عـــلم التربـــية: أتى من التوجيهات النبوية في اختيار اسم المولود، وتكنيتـــه والأذان لـــه عنـــد ولادته... وأَمْرُ الأولاد بالصلاة لسَبع، وضَـــرْبهم علـــيها لعَشر... وتعليم الشباب الرماية، وركوب الخيل، ورواية الشعر وحضورهم مجالس العلم.

14 – الجغرافية: تتمثل في معرفتهم الطرق، وطبيعة الأرض التي يقصدونها، وأمـــاكن المياه، وأسماء الجبال، وسكان المواقع التي يمرون بها، وكان هناك مختصون بعلم الجغرافية يسمى الواحد منهم (الدليل).

15 – عـــلم الفلك: يتمثل في معرفتهم الكسوف والخسوف، والاهتداء بالنجوم في السفر.

16 – علم النفس: وهو يمتزج بعلم التربية ويتمثل في مراعاقم مراحل نمو الإنســـان، وحاجاتـــه من الرعاية، وطرق المعاملة، ورأفة الرسول ﷺ بالأطفـــال، والتدرج في تربية الطفل حسب سنه، واهتمام الرسول ﷺ بطـــريقة عِشْرَة النساء، والنهي عن ضربهن إلا في حـــالات نادرة... إلخ.[2].

---

[1] محمد بن سلامة بن جعفر أبو عبد الله القضاعي (ت.454)، مسند الشهاب، ج1، ص 370، تحقـــيق حمدي ابن عبد الحميد السلفي، مؤسسة الرسالـــة، بيروت- لبنان ، 1407هـــ/ 1986م..

[2] محمد محمد حسن شراب، المرجع السابق، ص 163 .

17 – علم الكتابة والخط.

18 – علم اللغة الأجنبية لقوله ﷺ ما معناه:"من تعلم لغة قوم أمن مكرهم " وفي رواية "أمن شرهم".

19 – علوم الحرب والسياسة المحلية والدولية.

فكـــل هذه العلوم كان يعرفها المسلمون في صدر الإسلام وبعضها كـــان موجـــوداً عند العرب في الجاهلية، ولكل علم شواهد من القرآن والحديث والحياة الاجتماعية والعملية.

وبالإضافة إلى هذه العلوم هناك الصناعات التي تكلم عنها القرآن الكريم، وتَعَلُّمَها أيضاً يدخل في باب العلوم، كصناعة الحديد لقوله جل وعلا: ﴿ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴾[1]، والصناعات الحربية لقوله سبحـــانه وتعالى: ﴿ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ﴾[2]، حينما تكلم عن صناعة الدروع، وصناعة الفُلْك- السفن- لقوله تبارك وتعالى: ﴿ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ﴾[3]، كما أشار القرآن إلى عدة قطاعات كقطاع البناء وحتى الغوص في البحار لقوله تعالى:﴿ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴾[4]، حتى أنه أشار سبحانه وتعالى إلى بعض الحِرَف النسائية التي منها: الغزل، لقوله سبحانه وتعالى: ﴿ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا ﴾[5]، وحتى الخياطة ذكر آلتها وهي الإبرة، فقال جل ذكره: ﴿ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ﴾[6].

وهذا الدفع العلمي الموجَّه من قبل الباري تعالى حَثٌ المسلمين على البحث والتقصي في كافة المجالات من أجل إعمار الأرض وهي غاية

---

[1] سورة سبأ، الآية 10.

[2] سورة سبأ، الآية 11.

[3] سورة هود، الآية 37.

[4] سورة ص، الآية 37.

[5] سورة النحل، الآية 92.

[6] سورة الأعراف، الآية 40.

وجود الإنسان بعد عبادة الله القائل جل ذكره: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾[1] ولقوله عز وجل: ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾[2]، أي خلقكم فيها لتعمروها.

أماكن العلم:

إن أماكن العلم والمعرفة انطلقت بانطلاق الإسلام وحلت حيثما حل، ابتداءً من أوائل التنزيل وحتى استقرار الفتوحات واستقرار رواسي الحكم فيها.

فكانت الانطلاقة بوجه عام من المساجد كما كان الأمر من مسجد رسول الله ﷺ، ثم أُضيفت إليها الكتاتيب والمدارس التي كانت منائر لرواد العلم لتتركز بعد ذلك، إضافة إلى المساجد والمدارس، في المكتبات العامة والجامعات خاصة في العواصم والحواضر[3].

وكانت المساجد الكبرى تُعَدُّ أُمَّات الأماكن في نشر العلم والتعليم كـ (الجامع الأزهر) و(جامع الزيتونة) و(الجامع الأموي) و(الجامع الأقصى) التي خُطَّتْ في كل منها كتبٌ تتكلم عن مآثر هذه الأماكن وتاريخها العلمي.

ولن يتسع المقام هنا للكلام عن كل أماكن العلم إلا أننا سنأخذ نماذج عن بعضها: إن أول مدرسة اختطت بالشمال الأفريقي كانت في القيروان، وقد ابتدأت الحياة الفكرية فيها بالعلوم الدينية وعلى قمتها تعليم القرآن والحديث ثم الفقه والتفسير، وقد أقامها صحابة رسول الله ﷺ

---

[1] سورة الذاريات، الآية 56 .

[2] سورة هود، الآية 61.

[3] الحواضر: جمع حاضرة وهي المدينة.

وتابعيهم. وقد ذكر مؤرخو الطبقات أن أفريقية دخلها تسعة وعشرون أو ثلاثـــون صحابياً من صحابة رسول الله ﷺ خلال فترة فتحهم لأفريقية، وكان منهم من شهد العقبة ومنهم من شهد بدراً وما بعدها من المشاهد، ومنهم من شهد بيعة الرضوان وصلّى إلى القبلتين. وقد مكث بعضهم في أفريقـــية فـــيما عاد البعض الآخر بعد انتهاء الغزوة التي قَدِمَ فيها، كما يذكـــرون أن عقـــبة بـــن نافع كان معه عندما عاد للمرة الثانية خمسة وعشـــرون صحابياً، وأنه جمع وجوه أصحابه وكبراء العسكر فدار معهم حول القيروان وهو يدعو لها ويقول: "اللهم املأها علماً وفقهاً، واعمُرها بالمطـــيعين والعابدين، واجعلها عزّاً لدينك وذلاً على من كفر، وأعز بها الإسلام وامنعها من جبابرة الأرض"[1].

بعـــد القـــيروان نشأت أماكن لنشر العلم في مساجد انتشرت هنا وهناك كجامع الزيتونة بتونس، وجامع القرويين بالمغرب، وجامع الأزهر بمصر، إلخ. غير أن هذه المساجد لم تظل باستمرار مراكز للتعليم، ففيها ما انتهـــت الدراســـة فيه منذ وقت مبكر، وفيها ما انقطعت منه ردحاً من الـــزمان، لكن جامع القرويين بفاس ظل منارة علمية و لم تنقطع الدراسة فيه حتى في الأعوام التي تمت فيها أعمال الترميم والبناء. وحتى عندما اتخذ المرابطون عاصمتهم مدينة مراكش سنة (462هـــ./ 1069م.) ويظهر ذلك عـــندما "ظل قضاة "العاصمة الجديدة" يبعثون بأبنائهم للتزود من معينها، الأمر الذي لم تتخل عنه أيضاً الأصقاع الجنوبية ومدن الساحل الشمالي. فإذا عرفنا إلى جانب هذا أن جامعة بولونيا (بإيطاليا) أُسست سنة (513 هـــ./1119م.)، وجامعة أكسفورد (بإنكلترا) سنة (627هـــ./1229م.)، وجامعة السوربون (بفرنسا) سنة (657هـــ./1257م.)، إذا عرفنا كل ذلك

[1] د. محمد محمد زيتون، القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية، ص 185- 186، دار المنار، ط1، القاهرة- مصر، 1408هـــ./ 1988م..

قدّرنا إذن ما قاله بعض الأساتذة والمستشرقين من أن أقدم كلية في العالم ليست في أوروبا، كما كان يَظن، بل في أفريقية"[1].

وكـــان يُدَرَّس هناك مذهب الإمام مالك الذي وردت طـــلائعه الأولى مع الأدارسة[2]، "وتعـــززت بمناصرة قرطبة ومسانـــدة القيروان، وهكـــذا اتخذت المادة العلمية – نتيجة لذلك – اتجاهاً مالكياً وأصبحت أفكـــار مـــالـــك والمؤلفـــات التي دَوَّنَها رفـــاقه هي التي تحتـــل زوايا القـــرويين، واستمر المذهب المالكي في ازدهار متوال طوال أيام المملكة المرابطـــية[3]، فكانـــت العلوم الدينية تحتل المقام الأسمى إلى جانب العلوم الأخرى"[4].

ومـــن المساجد التي لعبت دوراً مهماً في المجال العلمي بالإضافة إلى الشـــؤون التعـــبدية جامع الزيتونة الذي يبدو أنه كان على غرار جامع القيروان يعتبر المركز الرئيس الذي تُلقن فيه العلوم الدينية بشتى أنواعها. ويذهب بعض الباحثين إلى أن الدروس كانت تقام في جامع الزيتونة منذ القرن الأول الهجري/ أوائل القرن الثامن الميلادي مع العالم علي بن زياد التونســـي (ت.83هـــــ./702م.). "وقـــد تواصل هذا الدور في القرن الثالـــث- الهجري/التاسع الميلادي-، كما أشار إلى ذلك القاضي عياض

---

(1) فاطمـــة الجـــامعي الحبابي، جامعة القرويين وآفاق إشعاعها الديني والثقافي، ص73، ندوة تكريمية لعميدها عبد الوهاب التازي سعود، أبحاث وأعلام (5)، تمارة – المغرب، ل. ت..

(2) الأدارسة: دولة الأدارسة التي حكمت في المغرب العربي.

(3) المملكة المرابطية: دولة المرابطين.

(4) لم يستطع بعض قضاة المرابطين أن يهضم ميل الأوساط لتعاليم الغزالي، ولذلك لجأوا أول القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي إلى الإيعاز بإحراق كتابه "الإحياء" خوفاً من أن يكون ذيوعه على حساب مذهبهم المفضل ولذلك فقد أمروا بإحراقها، فكانت تشاهد الأحمـــال مـــن المخطوطات تمسي طعمة للنيران. لكن ذلك الأمر لم يستمر بل عاد اسم الغزالي إلى الظهور فيما بعد- فاطمة الجامعي الحبابي، المرجع السابق، ص 73- 74.

في تــــرجمة زيد بن بشر. وتَدَعَّمَ الدور التربوي لجامع الزيتونة في القرن السـادس الهجـري/ التاسـع الميلادي، إذ كان عليه في تلك الفترة أن يتصـدى للمذهب المُوَحِّدي الذي لُقِّنت علومه في المدارس المنشأة لهذا الغـرض. وبـرز من جراء هذه المناظرات العديد من العلماء في العصر الحَفْصِـي[1] الذين تصدَّروا للتعليم بالزيتونة، نذكر منهم الإمام ابن عرفة والغبريني والبرزلي وابن ناجي وغيرهم"[2].

ومن أماكن العلم المهمة في حياة المسلمين جامع الأزهر الذي وضع حجـر أساسه جوهر الصقلي قائد الجيوش الفاطمية في مصر (359هـ./ 970م.) واستمر بنائه عامين حيث انتهى بناؤه عام (361هـ./ 22 يونية 972م.).

وسُـمِّيَ أزهراً نسبة إلى فاطمة الزهراء رضي الله عنها والتي كان الفاطميون ينتمون إلى نسبها، وقيل: إن الفاطميين اقتبسوا كلمة (الأزهر) مـن كـلمة (الزهـراء) التي كانت تطلق على قصور الأمويين في بلاد الأندلـس[3]. وسمي أيضاً جامعَ القاهرة ليتميز عن غيره من المساجد كما كـان مـثلاً يطلـق على جامع عمرو بن العاص المسجد العتيق أو تاج الجوامع أو المسجد الجامع[4].

وهـذا الجـامع كـان مع جامع ابن طولون من أهم أماكن العلم وتحصـيل الـثقافة الإسلامية بالإضافة إلى العبادة وكلاهما كان في مصر

---

[1] دولة بني حفص.

[2] محمد حسين فنطر، فوزي محفوظ، عبد الحميد الأرقش، الحضارة الإسلامية في تونس، ص 128، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، إيسيسكو، مطبعة الهلال العربية، الرباط- المملكة المغربية، 1417هـ./ 1997م..

[3] د. أحمـد محمـد عوف، الأزهر في ألف عام، عدد خاص بمناسبة الاحتفال بالعيد الألفي للأزهـر الشريف، سلسلة البحوث الإسلامية، السنة الثالثة عشر- الكتاب الثاني، ص35، مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة - مصر، 1402هـ./ 1982م..

[4] د. أحمد محمد عوف، المرجع السابق، ص 33.

القديمة... وعلى هذا اتجه الحكم الفاطمي إلى جامع الأزهر ليترسم سياسة الدولة الفاطمية الجديدة بمعناها الديني والسياسي، وأصبحت الدراسة فيه يغلب عليها الصبغة الدينية واللغوية والمنطق علاوة على دروس في الحساب والهندسة والجبر والفلك، وظلت هذه الدراسة متداولة في أروقته وصحفه عدة عصور تعاقبت عليه[1].

وكان طالب العلم يمكث فيه للدراسة، فمثلاً في العهد العثماني كان على الطالب الذي يود اللحاق بالأزهر عليه أن يتعلم في قريته أو في أحد المساجد بعض سور القرآن التي يحفظها عن ظهر قلب علاوة على إجادته للقراءة والكتابة. وفي تلك الفترة "كان (كتَّاب) القرية على عاتقه مهمة تخريج الغلمان المؤهلين للالتحاق بالأزهر الشريف لينضموا إلى غلمان في أعمارهم، فإذا كان الصبي من الأقاليم كان أبوه أو وليّ أمره يرسله على حمار إلى القاهرة أو في مركب بالنيل حاملاً معه (خُرْجه)[2] وسَبَتَه[3] وملابسه[4]، فلما يصل إلى كَنَفِ الأزهر يتنسم رائحة من الطهارة، ويعيش في جو كله معبق بروحية تَصْرِف الطالب عن ملاهي الدنيا وتجذبه

---

[1] د. أحمد محمد عوف، المرجع السابق، ص 38 .

[2] الخُرْج: الكيس المخيط من القماش.

[3] سَبَت: وعاء من القش أو المعدن يوضع فيه الزاد عادة.

[4] كان الطالب يعيش عيشة فقر مدقع إذا لم يُمدَّه أهله بالزاد، وإذا كان كبير السن كان يعطي دروساً خصوصية لمن دونه ويعيش في الرواق (الممرات داخل المسجد) وعلى جراية الخبز، وكان معظم الطلبة لشدة فقرهم ينامون فوق الحصير وعلى الأرض لأنهم كانوا غير قادرين على شراء أسرّة لهم فكانوا ينامون متدثرين بملابسهم ويلتحفون بحصرهم حولهم، وإذا كان الطّقس حاراً كان الطلاب ينامون في صحن الجامع حيث كانوا يضعون خبزهم ليجففوه حتى يظل سليماً مدة طويلة، فإذا ما أراد الطالب أن يأكل يبلله بالماء ويأكل معه الخل والخضروات كالجزر والثوم والبصل، وكانت كل ممتلكات الطالب لا تتعدى القليل من الملابس والمتاع والكتب فكان يضع كل هذه في صندوقه أو خرجه- د. أحمد محمد عوف، المرجع نفسه، ص 61- 62.

إلى روضة العلم. وعلى هذا كان طلبة الأزهر مثاليين في سلوكهم وروحانيين في معيشتهم" [1].

ومن أماكن نشر العلم أيضاً والتي اشتهرت في التاريخ الإسلامي المدارس النظامية التي أنشأها الوزير نظام الملك (الحسن بن علي بن إسحاق الطوسي 408- 485هـ./ 1017- 1092م.) في سائر الأنحاء مستقلة عن المساجد، بل جعل في كل مدرسة مسجداً خاصاً تؤدى فيه الصلوات. وأهم المدارس التي أقامها :

1 - نظامية بغداد.
2 - نظامية نَيْسابور.
3 - نظامية مَرْو.
4 - نظامية هَراة.
5 - نظامية أصبهان.
6 - نظامية بلخ.
7 - نظامية البصرة.
8 - نظامية الموصل.
9 - نظامية آمل طبرستان.
10 - نظامية جزيرة ابن عمر (في جزيرة فوق الموصل)[2].

واشهر هذه المدارس النظامية كانت نظامية بغداد حاضرة الخلافة العباسية التي حوت جميع علوم العصر حينذاك، وساعدها في ذلك وجود دار عظيمة لنفائس الكتب كان لها أثر بالغ في نشر العلوم والآداب.

وكانت هذه الأماكن التي عملت في شأن العلم والمعرفة أشبه ما تكون بالجامعات الحديثة .

---

[1] د. أحمد محمد عوف، المرجع نفسه، ص 61.

[2] محمد عبد الرحيم غنيمة، تاريخ الجامعات الإسلامية الكبرى، ص 75- 76، دار الطباعة المغربية، تطوان- المملكة المغربية، 1953م..

وممـــا ساعد على نشر العلم ما كان من انتشار صناعة الورق التي عمَّـــت أرجاء العالم الإسلامي بعد أن تعلمها المسلمون من سمرقند بعد فتحها.

وقـــد أدى انتشـــار الورق إلى ظهور الوراقين الذين كانوا يقتنونه وينسخون الكتب ويبيعونها إلى الناس. وكان العلماء يقصدون حوانيتهم فيلـــتقي بعضهم ببعض، وتقع بينهم بعض المباحث والمذاكرات، بل كان بعـــض الوراقـــين أنفسهم من أرباب العلم، كابن النديم مصنف كتاب "الفِهرست"، وكان لهم دور بارز في نشر المعرفة[1].

وكانت المخطوطات التي يصنعها الوراقون على شكل كتاب غالية الثمن، لا سيما بالنسبة للطلاب، مما جعل الأساتذة يُمْلون على الطلاب المحاضرات التي يلقونها عليهم ليستغنوا بها عن الكتب.

هـــذا وقد صارت مهنة نسخ الكتب من المهن المهمة التي مارسها عدد من كبار العلماء، مما يَسَّرَ وجود الكتب في الأسواق التي كانت سبباً لفـــتح المكتـــبات التي تَنَافس الحكام والأعيان على إنشائها في القصور والمســـاجد[2]، بالإضـــافة إلى ازدياد الإقبال عليها حتى إنه في عام (278 هـــــ./891م.) أحصى أحد المسافرين عدد دور الكتب العامة في بغداد فوجد أنها تزيد على المائة.

وبدأت كل مدينة تبني لها داراً للكتب العامة لسائر الناس ممن أراد أن يـــنهل من المعرفة التي تضمها حوايا الكتب المتوافرة في هذه المكتبة أو تلـــك. ويســـتطيع أي مـــن الناس استعارة ما يشاء منها، وأن يجلس في قاعـــات المطالعة ليقرأ ما يريد، كما ويجتمع فيها المترجمون والمؤلفون، في

---

[1] بايـــارد دودج، التربية الإسلامية في العصور الوسطى، ترجمة د. سامي حماس الصقار، مجلة الدارة، السنة 13، العدد 1، ص140، الرياض- السعودية، شوال 1407هـــ./يونيو 1987م..

[2] بايارد دودج، المرجع السابق، ص 141.

قاعـــات خصصـــت لهـــم، يتجادلون ويتناقشون كما يحدث اليوم في الجامعات وغيرها من الدور والأندية الثقافية.

فكانـــت مكتبة صغيرة، كمكتبة النجف في العراق مثلاً، تحوي في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي أربعين ألف مجلد، بينما لم تحو أديرة الغـــرب سوى اثني عشر كتاباً ربطت بالسلاسل خشية ضياعها. ويحتاج تصنيف الكتب الموجودة في مدينة الرِّيّ[1] مثلاً إلى عشرة فهارس كبيرة. وكـــان لكل مسجد مكتبته الخاصة، بل إنه كان لكل مستشفى يستقبل زواراً قاعـــة فسيحة صُفَّت على رفوفها الكتب الطبية الحديثة الصدور، لـــتكون مادة لدراسة الطلاب ومرجعاً للأطباء يقفون منه على آخر ما وصـــل إلـــيه العلم الحديث. ولقد جمع نصير الدين الطوسي لمرصده في مراغة 400,000 مخطوطة.

وقد اهتم بهذه المكتبات بشكل خاص الخلفاء العباسيون في بغداد، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر ما كان من الخليفة العباسي الواثق الذي تـــرك بعد وفاته 600 صندوق ملأى بالكتب، إذ كان له غلامان ينسخان الكتب ليلاً ونهاراً، إضافة إلى الكتب التي كان يشتريها[2].

غير أن هذا الأمر لم يتوقف عليهم بل حذا حذوهم كثير من الأمراء المسلمين في مختلف أنحاء البقاع الإسلامية.

وفي هذا الباب روي أنه لما شفي سلطان بخارى، محمد المنصور، من مرضـــه العضال على يد ابن سينا، وهو بعد فتى لم يتجاوز الثامنة عشرة، كافأه السلطان على ذلك بأن سمح له أن يختار من مكتبة قصره ما يحتاج إليه من الكتب لدراسته، وكانت كتبها تشغل جزءاً كبيراً من القصر وقد

---

[1] الرِّيّ: ضاحية طهران عاصمة إيران حالياً.

[2] بايارد دودج، المرجع السابق، ص 141.

رتبت حسب موضوعاها، ويكتب ابن سينا عن ذلك الحديث فيقول:"وهناك رأيت كتباً لم يسمع أغلب الناس حتى بأسمائها".

و لم يكد ابن سينا يغادر قصر السلطان حتى اشتعلت النيران فيه فقضت على هذه الكنوز العلمية؛ وهامس أعداؤه وحساده قائلين:"إنه هو الذي أشعل النار فيها بعدما قرأها ليدعي فيما بعد، أن ما عنده من علم إنما هو من أبحاثه الخاصة".

ولعل من أشهر الذين اهتموا بالكتب العزيز في القاهرة – إبان الحكم الفاطمي- الذي لا يستطيع أحد أن يقارن نفسه به ولا حتى أمير قرطبة، الذي بعث رجاله وسماسرته[1] في كل أنحاء الشرق ليجلبوا له الكتب ليزيد روائع مكتبته، ومع كل الجهد الذي بذل بقيت مكتبة العزيز في القاهرة أوسع في هذا الميدان حيث حوت 1,600,000 مجلد، فكانت بذلك أجمل وأكمل دار للكتب. وقد ضمت 6,500، مخطوطة في الرياضيات و18 ,000 مخطوطة في الفلسفة، و لم يمنع هذا قط ابنه من بعده، حين اعتلى العرش، من أن يبني مكتبة ضخمة فيها ثماني عشرة قاعة للمطالعة إلى جوار المكتبة القديمة.

---

[1] كان هؤلاء السماسرة يُسَمَّوْنَ الدلالين، ومن نوادرهم أن سافر أحدهم من بغداد إلى القاهرة ليشتري من مصر النادر من الكتب، وكان قد سمع بأخبار طبيبها المشهور إبراهيم بن الصوفان الذي كان يوظف عدداً من النساخ ويشرف عليهم حتى صار له كتر من الكتب الطبية وغيرها. وعن طريق وساطة الأصدقاء استطاع هذا الدلال أن يوطد علاقته بالطبيب المذكور بعد عدة لقاءات بين الاثنين، وقدم التاجر للطبيب عرضاً مغرياً لشراء عشرة آلاف مجلد من كتبه، وقرر الطبيب الموافقة على ذلك العرض. ولكن أخبار تلك الصفقة وصلت إلى آذان الوزير الأفضل، وكان الأفضل من عشاق العلم الذين يقدرون قيمته، فثارت فيه نزعة داخلية وحَنينٌ إلى بلده مصر، واستدعى إبراهيم وأقنعه بوجهة نظره في ضرورة المحافظة على تلك الكنوز المكتبية من الكتب لبلده، ودفع الوزير من ماله الخاص المبلغ الذي كان التاجر قد دفعه للطبيب- زيغريد هونكة، شمس العرب تسطع على الغرب أثر الحضارة العربية في أوروبة، ص 391.

المكتبات :

كانت المكتبات منقسمة إلى فئتين رئيسيتين: عامة وخاصة.

فالمكتـــبات العامــــة هي التي كان ينشئها الخلفاء والأمراء والعلماء والأغنـــياء، وكانت تشيّد لها أبنية خاصة، وأحياناً كانت تُلحق بالمساجد والمدارس الكبرى.

أما الأبنية الخاصة، فقد كانت تشتمل على حجرات متعددة تربط بيـــنها أروقة فسيحة، وكانت الكتب توضع على رفوف مثبتة بالجدران تخصـــص كل غرفة لفرع من فروع العلم، فمثلاً كان لكتب الفقه غرفة، ولكتب الطب غرفة[1]...إلخ..

ومـــن أقدم المكتبات العامة وأولها، كانت دار الكتب في دمشق[2]، ومـــن أوائلها أيضاً ما ذكره ابن النديم عما رآه في مدينة "الحدِّيثة" على الفرات، فقد رأى خزانة للكتب بخط الإمامين الحسن والحسين رضي الله عنهما، وأمانات بخط أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كَرَّم الله وجهه[3].

ومن أشهر المكتبات العامة:

1- مكتبة الخلفاء الفاطميين في القاهرة، حيث كانت مكتبة عجيبة بما حوت من نفائس المصاحف والكتب التي بلغ مجموعها كما يروي كثير من المؤرخين مليوني كتاب وقد أنشأها الحاكم بأمر الله الفاطمي وتحوي في أحد خزائنها 18,000 كتاب، وكان الدخول إليها مباحاً لجميع الناس، فمـــنهم مـــن يحضر لقراءة الكتب، ومنهم من يحضر للنسخ، ومنهم من

---

[1] د. مصـــطفى السباعي، من روائع حضارتنا، ص 163، دار الإرشاد، ط2، بيروت- لبنان، 1388هـــ./ 1968م..

[2] د. عزيزة فوال بابتي، المرجع السابق، ص 138 .

[3] د. عزيزة فوال بابتي، المرجع السابق، ص 140 .

يحضـــر للـــتعلّم، وكـــان فيها كل ما يحتاج إليه الناس من الحبر والأقلام والورق والمحابر[1].

وقـــد نهج الوزراء ورجال الدولة النهج نفسه في إنشاء المكتبات، ومـــن الأمثلة في هذا الصدد أن الوزير المهلبي ترك عند وفاته مجموعة من 17,000 مجلـــد، واســـتطاع زمـــيله الشاب ابن عباد أن يجمع في مكتبته 206,000 كتاب، وجمع أحد قضاته 1,050,000 مجلد[2].

2- مكتبة بيت الحكمة في بغداد التي أنشأها هارون الرشيد، وبلغت ذروة مجدها في عصر المأمون، وكانت أشبه بجامعة فيها كتب ويجتمع فيها رجال يتفاوضون ويطالعون وينسخون، وكان فيها نساخ ومترجمون يترجمون ما كان يحصل عليه الرشيد والمأمون في فتوحاتهم بأنقرة[3] وعمورية[4] وقبرص[5].

3- مكتـــبة مرو التي ذكرها ياقوت الحموي عندما زارها في مطلع القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي وأقام بها ثلاثة أعوام (613- 616هـــ./ 1216- 1219م.)، ووصف ما بها من خزائن الكتب التي اضطر إلى مفارقـــتها عـــندما بدأ المغول يصلون إلى مشارف المدينة، فقال عن كتـــبها: "وكانت سهلة التناول لا يفارق منـــزلي منها مائتا مجلد وأكثر بغـــير رَهْـــن تكـــون قيمتها مائتي دينـــار فكنت أرتع فيها وأقتبس من فوائدها"[6].

---

[1] د. مصطفى السباعي، المرجع السابق، ص. 165 .

[2] زيغريد هونكة، المرجع السابق، ص 385 – 387 .

[3] أنقرة: العاصمة التركية.

[4] عمورية: من أرض سورية.

[5] قبرص: ثاني أكبر جزر البحر الأبيض المتوسط مساحة بعد جزيرة صقلية.

[6] د. أيمن فؤاد سيد، مناهج العلماء المسلمين في البحث من خلال المخطوطات، ص 104،مجلة معهـــد المخطوطات العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، القاهرة- مصر، رجب 1420هـــ./ نوفمبر 1999م..

4 - مكتبة بخارى التي أنشأها الأمير نوح بن منصور الساماني وذكر ابـــن سينا بأنه طالع فيها فِهرست كتب الأوائل، وطلب ما احتاج إليه، ورأى بهـــا مـــن الكتب ما لم يقع إليه اسمه، وإنه قرأ تلك الكتب وظفر بفوائدها[1].

5- مكتـــبة الحَكَـــم الـــثانـــي بالأندلس، وكانت غاية في العظمة والاتساع[2]، حتى قيل إنها بلغت أربعمائة ألف مجلد.

6- مكتـــبة بـــني عمار في طرابلس، حيث كان فيها مائة وثمانون ناسخاً ينسخون فيها الكتب، ويتبادلون العمل ليلاً ونهاراً دون انقطاع[3].

ومن أشهر المكتبات الخاصة التي أنشأها أفراد:

1- مكتبة الفتح بن خاقان (ت.247هـــ./ 861م.) الذي كانت له خزانة كتب جمعهـــا له علي بـــن يحيى المنجـــم لم يُرَ أعظم منها كثرة وحسناً[4].

2- مكتبة ابن الخشاب (ت.567هـــ./ 1171م.).

3- مكتـــبة جمال الدين القفطي[5] (ت.646هـــ./1248م.) الضخمة الـــتي قُصدَ بها من الآفاق، وعاونه في جمعها ياقوت الحموي الوَرَّاق الذي وصفها بأنه لم ير مع اشتغاله بالكتب وجمعه لها وتجارته فيها أشد اهتماماً منـــه بها ولا أكثر حرصـــاً منه على اقتنائهـــا، وحصل له منهـــا ما لم يحصل لأحد وكان مقيماً بحلب[6].

---

(1) د. أيمن فؤاد سيد، المرجع السابق، ص 104و 107.

(2) د. مصطفى السباعي، المرجع السابق، ص 165.

(3) د. مصطفى السباعي، المرجع نفسه، ص 166 – 167.

(4) د. أيمن فؤاد سيد، المرجع السابق، ص 109.

(5) يقول ابن القفطي، إنه شاهد في خزائن الكتب في القاهرة كرة نحاس كتب عليها: "حُملت هذه الكرة من الأمير خالد بن يزيد بن معاوية" – د. عزيزة فـــوال بابتي، المرجع السابق، ص 138.

(6) د. أيمن فؤاد سيد، المرجع نفسه، ص 109.

4- مكتبة ابن حاجب النعمان[1].

5- مكتبة محمد بن الحسين - ابن أبي بعرة - بمدينة الحّديثة بالعراق[2].

6- مكتبة بني جرادة العلماء في حلب.

7- مكتبة الموفق بن مطران الدمشقي (ت. 587هـ./ 1191م.) [3].

8- مكتبة أبي المظفر نصر بن محمود بن المُقرَّف التي ذكرها ابن أبي أصيبعة وقال إن صاحبها "كان يمضي معظم أوقاته بها مشتغلاً في الكتب وفي القراءات والنسخ، وأن جميع كتبه لا يوجد شيء منها إلا وقد كَتَبَ على ظهره مُلَحَاً ونوادر مما يتعلق بالعلم الذي صُنف ذلك الكتاب فيه. وأضاف أنه رأى كتباً كثيرة من كتب الطب وغيرها من الكتب الحكمية التي كانت لأبي المظفر وعليها اسمه وما منها شيء إلا وعليه تعاليق مستحسنة وفوائد متفرقة مما يجانس ذلك الكتاب"[4].

المكتبة عزيزة على العَالِم:

كانت مكتبة العَالِم الخاصة أعز ما يملكه، وكان فقدها كارثة تترك في نفسه ألماً شديداً، وفي ذلك يصف ياقوت الحموي أحد المحبين للكتب والمبالغين في تحصيلها وشرائها ثم تبدلت به الأحوال واضطر لبيعها. فقال: "فرأيته يخرجها ويبيعها وعيناه تذرفان بالدموع كالمفارق لأهله الأعزاء والمفجوع بأحبائه الأوِدَّاء. فقلت له: هَوِّن عليك- أَدام الله أيامك-

---

(1) د. أيمن فؤاد سيد، المرجع نفسه، ص 108- ولمزيد من التفصيل انظر ابن النديم (أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحق المعروف بالوراق)، كتاب الفِهرست، ص 149، تحقيق رضا، تجديد ابن علي زين الدين العابدين الحائري المازندراني، دار المسيرة، ط3، بيروت- لبنان، 1988م..

(2) د. أيمن فؤاد سيد، المرجع السابق، ص 108 — 109.

(3) د. مصطفى السباعي، المرجع السابق، ص167.

(4) د. أيمن فؤاد سيد، المرجع السابق، ص 107.

فإن الدهر ذو دُوَل، وقد يسعف الزمان ويساعد وتَرْجِع دولة العز وتُعَاوِد فَتُسْتَخْلف[1] ما هو أحسن منها وأجود. فقال: حسبكَ يا بني: هذه نتيجة خمسينَ سنة من العمر أنفقتها في تحصيلها، وهب أن المال يتيسر والأجل يتأخر، وهيهات..." [2].

ومن طريف المكتبات أن هجم الجند مرة على دار ابن العميد[3] بعد أن انتصروا على غلمانه وحراسه، فَفَرَّ ابن العميد إلى دار الإمارة فوجد أن خزائـــنه جميعها قد نهبت، حتى إنه لم يجد ما يجلس عليه ولا وجد كوزاً يشرب فيه الماء، واشتغل قلبه بدفاتره وكتبه و لم يكن شيء أعز عليه منها، وكانـــت كثيرة تشمل جميع العلوم وكل نوع من أنواع الحِكَم والأدب، تحمل على مائة بعير فأكثر، فلما رأى ابن العميد خازن مكتبته سأله عنها فأجابه: هي بحالها لم تمسها يد، فَسُرِّيَ عن ابن العميد وقال لخازنه: أشهد أنـــك مـــيمون النَّقيـــبة[4]، أما سائر الخزائن فيوجد عنها عِوَض، وهذه الخزانة- أي مكتبته- هي التي لا عِوَض لها[5].

وعمومـــاً كـــان لكل عَالِم أو مؤلِّف مكتبةٌ لاستخدامه الشخصي تتفاوت قيمة كتبها تبعاً لأهمية العَالِم وقيمته العلمية.

المكتبات ونفقاها:

إن المـــوارد المالية التي كانت تقوم بنفقات المكتبات، كان منها ما يـــأتي من أوقاف تُنْشَأ من أجلها خاصة، وهذه حال كثير من المكتبات

---

(1) د. أيمن فؤاد سيد، المرجع نفسه، ص 109.

(2) د. أيمن فؤاد سيد، المرجع نفسه، ص 109 – 110.

(3) ابن العميد: الوزير الكبير أبو الفضل محمد بن الحسين بن محمد الكاتب، وزير الملك ركن الدولة الحسن بن بويه الديلمي (ت.360هـــ.)- الذهبي، المرجع السابق، ج16، ص 137- وانظـــر ابن خلكان، المرجع السابق، ج5، ص 103- 113- وانظر ابن مسكويه (أحمد بن محمد ت.421هـــ.)، تجارب الأمم، ج6، ص 274- 282، آمبروز، القاهرة- مصر، ل. ت..

(4) ميمون النَّقيبة: فطن، حسن التصرف.

(5) د. مصطفى السباعي، المرجع السابق، ص 163.

العامة، ومنها ما كان من عطايا الأمراء والأغنياء والعلماء الذين يؤسسون تلــك المكتــبات، فقد قالوا إنه كان عطاء محمد بن عبد الملك الزيات[1] للنَّقَلَة والنُّسّاخ في مكتبته ألفي دينار كل شهر، وكان المأمون يعطي حُنَين ابن إسحق من الذهب زنة ما ينقله من الكتب إلى العربية مِثْلاً بمِثْل[2].

وكان في مكتبة المَوْصل، التي أَنشأها أبو القاسم جعفر بن محمد بن حمدان المَوْصِليّ وسماها دار العلم، خزانة كتب من جميع العلوم وقفاً على كــل طالب علم، ولا يُمْنَع أحد من دخولها، وإذا جاءها غريب يطلب الأدب وكان معسراً أعطاه وَرَقَاً وَوَرِقَاً[3]، وكانت تُفتح يومياً[4].

ومــن بين من أهتم بالكتب الخليفة المأمون، ومن الأمثلة على ذلك أنه "وقعت حرب بين المسلمين والروم، واستطاع الخليفة المأمون أن يقود جيشه إلى قلب بلاد الروم، فاضطر توفيل[5] ملك الروم أن يطلب الصلح من المأمون. ففرض المأمون على توفيل غرامة قدرها نصف مليون دينار، كمــا يقولون. ثم جاء من قال للمأمون إن في بلاد الروم كتباً في العلم والفلســفة مطمــورة في السراديب. فانتهز المأمون الفرصة وعرض على توفــيل أو ثيوفــيلوس أن يسمح لــه بأخــذ هذه الكتب بدل الغرامة المالــية. ففرح توفيل لأنه عَدَّ بضعة أحمال من الكتب تباع بنصف مليون مــن الدنانير ربحاً وفيراً، أما المأمون فَعَدَّ ذلك نعمةً عظيمة. فبينما كان ملــك الروم يرى أن كتب العلم والفلسفة لا قيمة لها لأنها مخالفة للدين، كان الخليفة المأمون أيضاً يستبدل هذه الكتب بنصف مليون دينار عملاً

---

[1] ابن الزيات: الوزير الأديب العلامة أبو جعفر محمد بن عبد الملك بن أبان بن الزيات. كان والده زَيَّاتاً سوقياً، فساد هذا بالأدب وبراعة النظم والنثر ووزر للمعتصم وللواثق- الذهبي، المرجع السابق، ج11، ص 172- 173.

[2] د. مصطفى السباعي، المرجع السابق، ص 165 .

[3] الورِق: الفضة من العملة.

[4] د. مصطفى السباعي، المرجع نفسه، ص 164 .

[5] توفيل : تلفظ اليوم تيوفيل .

بأمـــر الديـــن"[1]. وفي حديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: "الحكمة ضالة المؤمن حيث وجدها فهو أحق بها"[2].

المكتبات في الأندلس :

اهـــتم الأندلسيون بالعلم والعلماء اهتماماً كبيراً، ففي أيام الحكم الثاني المستنصر بالله (ت.366هــ./976م.) مثلاً، كان يوجد في الأندلس ســـبعون مكتبة عامة عدا المكتبات الخاصة للمشاهير من الرجال والنساء وكـــثير من عامة الناس، حيث أصبح جمع الكتب هواية ممتعة. كل ذلك إضـــافة إلى مكتبة قرطبة الرئيسة التي أسسها الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوســـط في منتصـــف القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، وأثراها الحكـــم الثاني المستنصر بالله، وذكرها ابن حزم قائلاً: "إن عدد الفهارس الـــتي كانت فيها تسمية الكتب أربع وأربعون فهرسة، وفي كل فهرسة خمسون ورقة ليس فيها إلا ذكر أسماء الدواوين فقط" [3].

نكبة المكتبات:

أصـــيب العلم وخزائنه بعد تقدمه وتطوره بنكبات عديدة قضت عـــلى كـــثير مـــنه نتيجة تعرّض البلاد الإسلامية للاهتزازات السياسية والفوضوية الداخلية إضافة إلى الهجمات العسكرية الخارجية، الأمر الذي تسبب بمآس وكوارث عديدة أصابت العالم الإسلامي.

ومن هذه النكبات:

1 - نكبة التتار حين احتلوا بغداد وقذفوا بما وجدوه في دور الكتب العامة في نهر دجلة حتى فاض النهر بالكتب الملقاة فيه، فكان الفارس يَعْبُر

---

[1] د. عمر فروخ، المرجع السابق، ص 39- 40.

[2] الترمذي، المرجع السابق، ج5، ص 51.

[3] د. عـــبد الرحمن علي الحجي، الحضارة الإسلامية في الأندلس (أسسها، ميادينها، وتأثيرها على الحضارة الأوروبية)، ص 27- 28، دار الإرشاد، بيروت — لبنان، 1969م..

علـــيها من ضفة إلى ضفة، وظل ماء النهر أسود داكناً أشهراً طويلة من تَغَيُّرِه بمداد الكتب التي أُغرقت فيه.

2 - نكـــبة الغزو الصليبي التي أفْقَدَت الأمة الإسلامية أعز المكتبات لديها، والتي كانت في طرابلس الشام، وفي مَعَرَّة النعمان[1]، والقدس وغزة وعســـقلان[2]، وغيرهـــا من المدن التي خربها الصليبيون، ويُقَدَّر ما أتلفه الصليبيون في مكتبة طرابلس وحدها بزهاء ثلاثة ملايين مجلد.

3 - الكـــثير مـــن التراث الغالي الذي كانت تحويه المكتبات هناك، والـــتي تحدّث عنها التاريخ بذهول، حيث احترقت تلك المكتبات كلها بفعـــل المتدينين المتعصبين من نصارى الإسبان، حتى إنه احترق في يوم واحد في ميدان غرناطة ما قَدَّرَه بعض المؤرخين بمليون كتاب[3].

4 - في غرناطة وحدها بعد سقوطها، أي في حوالي سنة (905هـــ./ 1500م.) ، قـــــام الكارديـــنال خمينس مطران طليطلة ورأس الكنيسة الإســـبانية، بجمـــع مـــا أمكن من المخطوطات العربية واحتفل بحرقها؟! واخْـــتُلفَ في تقدير ما أحرق، من خمسة آلاف إلى مليون وخمسة آلاف مجلـــد. ومـــن المحتمل أن ما أحرق يبلغ حوالي مئة ألف مؤلف (مخطوط) باللغة العربية[4].

5 - نكبة الأمة الإسلامية بالفتن الداخلية، فقد كان من نتائج هذه الفتن فقد العديد من المكتبات التي تضم الكثير من ذخائر التراث العلمي

---

[1] معرة النعمان: من أرض العراق.

[2] عسقلان: من مدن فلسطين المحتلة.

[3] د.مصطفى السباعي، المرجع السابق، ص 168 .

[4] إن المتبقي الآن في مكتبات الشرق والغرب من هذه المخطوطات يعتبر ثروة مهمة تحتاج إلى عناية خاصة، وتعتبر مكتبة قصر الأسكوريال التي تقع على بعد خمسين كيلومتراً شمال غربي مدريد أحد هذه الأماكن التي تحتضن بعضاً من ذلك التراث- د. عبد الرحمن علي الحجي، المرجع السابق، ص 31.

الـــذي تعـــب بجمعه العلماء من الأجداد الذين أفْنَوا أعمارهم في العمل الدوؤب ليُثروا التراث العلمي الذي أفاد منه الكثير من أبناء الإنسانية.

6 - نكـــبة مكتـــبة الخلفاء الفاطميين حين اعتدى عليها غوغاء من المماليك الأتراك، فأشعلوا فيها النار، واقتسم العبيد جلود كتبها فاتخذوها نعـــالاً يلبَسونها، وأُلقي منها عدد كبير في النيل، وحُمل بعضها إلى سائر الأقطـــار، وبقي منها ما سَفَّت عليه الرياح[1]، فصار تلالاً يعرف بتلال الكتب.

7 - نكبة مكتبة حلب والتي تسمى "خزانة الصوفية"، وكانت مكتبة عظـــيمة، فقـــد نُهبـــت و لم يبق فيها إلا القليل في فتنة قامت بين السنة والشيعة في أيام عاشوراء[2].

8 - نكبة مكتبة الحاكم المستنصر في الأندلس، التي ذهبت بها أيدي الفتن الداخلية حين دخل البربر قرطبة، فبيع كثير منها ونهب الباقي[3].

9 - نكبة مكتبة الأمير ابن فاتك – من أمراء مصر في القرن الخامس الهجـــري/ الحادي عشر الميلادي، ولعل هذه النكبة من أغرب النكبات، حيث كان لديه مكتبة ضخمة كان يجلس فيها أكثر أوقاته ولا يفارقها. وكانـــت له زوجة كبيرة القَدْر من أرباب الدولة، ولكنها داخَلَتها الغَيْرَة مـــن الكتب، فلما توفي زوجها نهضت مع جواريها إلى خزائن كتبه وفي قلبها لوعة من الكتب، لأنه كان يشتغل بها عنها، فجعلت تبكيه وتندبه، وفي أثنـــاء ذلـــك تـــرمي الكتب في بركة ماء كبيرة في وسط الدار هي وجواريها.

---

[1] سَفَّت عليه الرياح: رَمَت عليه الرمال.

[2] د. مصطفى السباعي، المرجع السابق، ص 168 .

[3] د. مصطفى السباعي، المرجع نفسه، ص 168.

وقـــديماً كانت زوجة الإمام الزهري[1] تقول له حين تراه غارقاً في الكتب:"والله لهذه الكتب أشد عليَّ من ثلاث ضرائر!"[2].

نفائس المكتبات :

بعد الكوارث التي حلت بالمكتبات التي كانت تحوي نفائس التراث الإسلامي وتراجع الإنتاج العلمي الإنساني، تنبه عدد من النبهاء لقيمة هذا الـــتراث الموزع بين أرجاء الحواضر الإسلامية فعَمدَ عدد منهم إلى التقاط مـــا تبقى منه. فكان منهم المُجَمِّع، وكان منهم تاجر الكتب الذي عرف قيمـــة هذه الذخائر وحافظ عليهـــا ، وكانـــت له بمثابة الكنـــز للذي يعرف قيمته ويدفع فيه أكثر من غيره.

مـــن هنا تنبهت بعض المراكز لتجميع هذه المخطوطات في أماكن تكـــون محطّ اهتمام الزائرين لها من أهل العلم، وقد انتشرت هذه المراكز في عـــدد من بلدان العالم، ومنها على سبيل المثال لا الحصر، مركز لَيْدن الذي نما بعد أن عُـــيّنَ "فارنر" سنة (1065هـــ./1654م.) ممثلاً لهولندا في القسطنطينية. و لم يكن "فارنر" دبلوماسياً فحسب، وإنما كان عالماً أيضاً، فقام بجمع العديد من المخطوطات النفيسة أثناء تواجده بالقسطنطينية. ثم أورثهـــا مكتـــبة ليدن الجامعية. وهكذا حصلت الجامعة على العديد من المخطوطـــات ذات الأهمـــية الكبرى التي بإضافتها إلى المخطوطات التي اشـــتراها "خولـــيوس"[3] لحساب الجامعة، أضْحَت من أهم مجموعـــات العالم[4].

---

[1] النهري: محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب ولد سنة خمسين، إمام العلم وحافظ زمانه وكـــان نـــزيل الشام روى الحديث عن ابن عمر وجابر- لمزيد من التفصيل انظر الذهبي، المرجع السابق، ج5، ص 326- 328.

[2] د. مصطفى السباعي، المرجع السابق، ص169 .

[3] من الباحثين المهتمين بالمخطوطات العربية القديمة .

[4] د. نـــيقولاوس فان دام (التحرير)، د. يان بروخمـــان، كورنيلس خ. براور، د. ألكسندر هـــ. ده خروت، د. بن ي. سلوت، يان يوست فيتكام ، هولندا والعالم العربي منذ القرون

كما ضمت مكتبة ليدن مجموعة كتب "سكاليخر"[1] التي كان من بيـــنها ما يقارب خمسين مخطوطة شرق أوسطية، بالإضافة إلى عدد أكبر مـــن الكتـــب المطبوعة التي لها علاقة بالعربية، وصلت كلها مكتبة ليدن الجامعـــية، وقـــد احتوت هذه المجموعة على مواد عربية من بينها المعجم اللاتـــيني- العربي، والذي عُرِف عنه بأنه ألَّفَ في طليطلة في الأندلس في النصـــف الثاني من القرن السادس الهجري/النصف الثاني من القرن الثاني عشـــرالميلادي، كمـــا احتوت مجموعته على جزءين من القرآن الكريم مكتوبين على جلد الغزال ويرجع أصلهما إلى المغرب[2].

ولقـــد جمع "خوليوس" ما يقارب السبعمائة كتاب منسوخة باليد لمؤلفين من العرب والفرس والترك. وقبل أن يباشر أستاذيته كانت إدارة جامعة ليدن قـــد سمحت له بالسفر ولمـــدة طويلة إلى كـــل من حلب والقســـطنطينية حيث قام بشراء معظم مخطوطاته. وبما أن شراء الكتب كـــان يتم من أموال الجامعة فإن ما يقارب ثلث مجموعته كان قد وضعه في مكتبة ليدن خلال حياته، أما الباقي فقد بيع بالمزاد العلني بعد وفاته.

وقد انتهى المطاف بالقسم الأكبر من مجموعته إلى مكتبة "بُدليان" في أكســـفورد في إنكلترا، حيث لم يزل بالإمكان دراسة مخطوطاته، و لم يبق في هولندا غير القليل منها الذي وصل أخيراً إلى مكتبة ليدن[3].

هـــذا وفي عـــام (1301هـــــ./1883م.) فقط "وصلت إلى المكتبة مجموعة كبيرة من المخطوطات العربية، وذلك دفعة واحدة. فقد اشترت

= الوسطى حتى القرن العشرين العلوم- اللغة- التجارة — الثقافة والفن، ص 13، مقدمة لمعالي وزير الخارجية الهولندي السيد هانس فان دن بروك، تعريب أسعد جابر، (Lochem) لوشم بالتعاون مع وزارة الخارجية في لاهاي، هولندا،1987م..

[1] أحد علماء الغرب الباحثين والمهتمين بالتراث الشرق أوسطي .

[2] د. نيقولاوس فان دام، المرجع السابق، ص 20 .

[3] د. نيقولاوس فان دام، المرجع نفسه، ص 21 .

الجامعة وبواسطة شركة "بريل" مجموعة مخطوطات العلامة وتاجر الكتب العـــربي أمين المدني. وبذلك انتهى المطاف في جامعة ليدن بحوالي ستمائة وخمـــس وستين مخطوطة من بينها عدد كبير نسبياً بخط يد المؤلف. وفي سنة (1355هـــ./1936م.) تسلمت المكتبة ميراث "سنوك هرخرونيه"[1]، والـــذي يضم المئات العديدة من المخطوطات العربية التي مصدر معظمها أندونيسيا. ولهذا أصبحت ليدن مؤسسة تجذب العلماء والزائرين المهتمين بالتراث، لمشاهدة الكنوز العربية"[2]، التي تحويها.

وهـــناك متفرقات من المخطوطات في أنحاء عديدة، منها على سبيل المـــثال لا الحصر المخطوطة التي وجدت في مكتبة شستربتي والتي ذكرها يـــاقوت الحموي وهو بمرو. وهذه المخطوطة هي نسخة من كتاب "تمام الفصـــيح" لأحمد بن فارس (ت.395هـــ./ 1004م.) بخطه وقد كَتب في آخـــرها: "وكتب أحمد بن فارس بن زكرياء بخطه في شهر رمضان سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة بالمحمدية" الهجرية/ 1000م.، ونقل ياقوت نسخة عـــنها في سنة (616هـــ./ 1219م.)، وقد صلت إلينا هذه النسخة شاهدة على صحة ما ذكره ياقوت في نسخته، وهي محفوظة في المكتبة المذكورة بدبلن برقم 3999[3].

ومنها خزانة الأمير صرغتمش وفي ذلك "ذكر السيد محمد مرتضى الزبـــيدي (ت.1205هـــــ./ 1790م.) أنه وقف على نسخة من كتاب "العـــباب الزاخـــر"، وأخـــرى من "التكملة على الصحاح"، وكلاهما للصـــغاني (ت.650هـــ./ 1252م.)، قال :" ظفرتُ بهما في خزانة الأمير صرغتمش". وقد وصلت إلينا هذه النسخة من "التكملة والذيل والصلة

---

[1] أحد المهتمين باقتناء الكتب القديمة .

[2] د. نيقولاوس فان دام، المرجع السابق، ص 26 .

[3] د. أيمن فؤاد سيد، المرجع السابق، ص 104.

لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية"، وهي نسخة كتبت سنة (642 هـ./ 1244م.) في حياة المصنِّف، آلت إلى دار الكتب المصرية من خزانة الأمير صرغتمش في العقد الثاني من القرن الرابع عشر الهجري /نهاية القرن التاسع عشر- الميلادي-، وهي محفوظة بها برقم 3 لغة" [1].

هذا وهناك لَبْسٌ حول المخطوطات التي كانت في مكة والمدينة، أين ذهبت وماذا حل بها؟! في وقت كان إنشاء المكتبات في هاتين المدينتين يُعَدُّ تقرباً إلى الله وعَمَلَ خيرٍ في هذه البقاع المقدسة ومن الصدقة الجارية، حيث تَعْدِلُ كل صدقة فيهما آلاف أمثالها في البلاد الأخرى، ولذلك كان السلاطين والأمراء والأتقياء يوقفون الكتب فيهما، ويضمنون بأوقاف أخرى الإنفاق على القائمين بأمرها.

ومن المعروف عن هذه المكتبات أن هناك مئات الكتب نقل عنها المؤلفون في القرون الرابع والخامس والسادس الهجرية/العاشر والحادي عشر والثاني عشر الميلادية و لم تصل إلينا، فأين ذهبت؟ ومن المعلوم أن الاستعمار لم يدخل إلى تلك البقاع المقدسة، و لم يدخلها المغول الذين قضوا على التراث الإسلامي في بغداد، و لم تشهد محاكم التفتيش التي أحرقت كتب التراث الإسلامي في الأندلس... فأين ذهبت هذه الكتب؟ لا بد أن بعض مَنْ سكنوا المدينة قد نقلوا هذه المخطوطات إلى أوروبة وباعوها إلى المستشرقين[2]... وقد يُهيأ لإحدى المكتبات رجل أمين غيور فيُنَمّي عددها، ويسعى إلى حفظ ما فيها... وقد يكون حظ مكتبة أخرى سيئاً إذا تسلمها غير حريص، فتمتد إليها الأيدي السارقة وتتبدد مع الأيام، وكم وكم من الكتب التراثية التي نسمع عن أسمائها و لم تصل

---

[1] د. أيمن فؤاد سيد، المرجع نفسه، ص 107 – 108.

[2] لمزيد من التفصيل انظر د. عبد الرحمن حميدة، أعلام الجغرافيين العرب، ص 448، دار الفكر المعاصر، بيروت – لبنان/ دار الفكر، دمشق- سورية، ط1، 1416هـ./ 1995م.

إلينا، أو أنها وصلت إلينا ولكنها قد تكون في أحد المتاحف أو المكتبات التي استولت على تراثنا في غفلة منا.

ومـــا التراث الإنساني الذي سُرِقَ ودمِّر في بغداد أثناء اجتياحها في مطلع القرن الحادي والعشرين منّا ببعيد.

الفصل الثالث

الترجمة والنقل والبحث العلمي

الترجمة والنقل

مـــع انتشار الإسلام في أرجاء واسعة من الأرض واستقرار الحكم فـــيها، كان المسلمون يقومون بدراسة تراث من سبقهم من الأمم، ولما كانـــت كتابات من تقدمهم في لغات أخرى، فقد عمدوا إلى ترجمة تلك العلوم.

وابـــتدأت حركة الترجمة زمن الأمويين، ولعل من أكبر مشجعيها خـــالد بـــن يـــزيد الذي شُغفَ بالكيمياء اليونانية[1] وأمر بترجمة بعض نصوصـــها إلى العربية، ويعتبر هذا أول نقل للعلوم في الإسلام، كما جاء بعـــده الخليفة عمر بن عبد العزيز الذي أمر بترجمة بعض الكتب، وهذه كانـــت تـــرجمة خفـــيفة نســـبياً في العصر الأُموي لانشغال المسلمين بالفتوحات.

غـــير أن الاهـــتمام بالترجمة أدى إلى إنشاء دار للترجمة في عاصمة الخلافـــة الأموية دمشق، إضافة إلى إنشاء دار للكتب كانت أول دار تبنى في العالم الإسلامي على الأرجح[2].

وكانـــت حركة الترجمة زمن الأمويين عموماً بمثابة مقدمة للترجمة الفعلـــية التي ازدهرت زمن العباسيين، وكان ابتداؤها زمن المنصور حيث قـــام إبراهيم الفزاري بترجمة الفلك الهندي المعروف باسم "السند هند" يعاونـــه في ذلك بعض علماء من الهنود، كما جلب يحيى بن خالد المكي

---

[1] لمزيد من التفصيل انظر محمد كرد علي، خطط الشام، ج4، ص 20، مكتبة النوري، ط3، دمشـــق- سوريـــة، 1403هـــ./ 1983م..- وانظـــر عزيزة فوال بابتي، المرجـــع السابق، ص137 - 138.

[2] محمد كرد علي، المرجع السابق، ج4، ص 21.

مجموعـــة مـــن الأطباء الهنود وأمرهم بنقل بعض الكتب الهندية، يعاونهم بعض المترجمين لنقل الكتب من السنسكريتية إلى العربية.

ومـــا ســـاعد على الاهتمام بالترجمة وجود عدد من المدارس التي حملـــت الثقافة عموماً قبل الفتح الإسلامي في مدن جُنْد يَسابور والرُّها وحَـــرَّان ونصيبين، وكان للسريان الفضل في نقل وترجمة المعلومات إلى العربـــية بأمر من المنصور، إذ استدعى من جند يسابور أسرة بَخْتَيَشوع النصـــرانية المشهورة بالطب، ليتولى بعض أطبائها علاجه، وجدّت هذه الأســـرة كما جدّ غيرها من السِّريان في ترجمة الفلسفة اليونانية، وبلغت الترجمة أوجها في عهد المأمون[1].

وأشـــار إلى ذلـــك د.عبد الفتاح مقلد الغنيمي حيث قال :" كان المنصـــور أول من عُني عناية فائقة بنقل الكتب القديمة ولكنه اقتصر منها على العلوم الطبيعية والطب والنجوم والهندسة"[2].

وأمـــا الفلســـفة والمنطق وسائر العلوم العقلية فترجمت في عهدي الرشيد (171- 193هـــ./ 787- 808م.) والمأمون.

وكـــان هـــارون الرشـــيد يدعو إلى بلاطه المتعلمين متقني مختلف اللغات، وعهد إليهم بترجمة كثير من الكتب العلمية تحت إشراف يحيى بن ماسويه[3].

ومن الطريف ذكره أنه وجدت في قصر بناه بالقاطول ليخرج إليه للتنـــزه خزانة كتب تحتوي أكثر من ألف كتاب[4].

---

[1] د. شوقي ضيف، المرجع السابق، ص 123 – 124 .

[2] د.عبد الفتاح مقلد الغنيمي، الحضارة الإسلامية وتحديات القرن الحادي والعشرين، ص31، مكتبة مدبولي، ط1، القاهرة – مصر، 1415هـــ. – 1995م..

[3] زيغريد هونكة، المرجع السابق،ص 379 .

[4] جميل نخلة المدور، المرجع السابق، ص 162.

هـــذا وقد بلغت العناية بالترجمة زمن المأمون مبلغاً عظيماً، حيث جعل هذا الخليفة ومن جاء بعده المترجمين يعيدون مراجعة التراجم مرات عدة لضمان سلامتها من الأخطاء.

وقـــد أنشأ المأمون في بغداد مدرسة للترجمة أطلق عليها اسم "دار الحكمة" [1]، وكان "يتعلم فيها أبناء العرب اللغات المختلفة، حتى يجيدوا النقل عن تلك اللغات، وقد جعل النظر في أمر هذه المدرسة وترتيبها إلى طبيـــب نسطوري[2]، هو يحيى بن ماسويه (ت.243هــ./857 م.)، وكان على علم بالسريانية والعربية، وملمّاً إلماماً واسعاً بالإغريقية[3].

هذا، وقد جعل المأمون يوماً في الأسبوع يجتمع فيه المترجمون بعلماء اللغة، ليطلع هؤلاء على عملهم وينظروا ليصححوا ما ورد فيه من أخطاء ويقـــروه، وقـــد كان يبذل في سبيل الترجمة أموالاً ضخمة كانت تغري العاملين في الترجمة على مواصلة الجهد ليلاً ونهاراً، وتحفز كثيراً على تعلم اللغـــات والإقبال على مدارسها، حتى تخرّج جيل يحيط بتلك الألسن[4]، وخرّجت المدارس أعداداً من العرب الذين يتقنون الترجمة والنقل، وتبارى الجمـــيع في إخـــراج الثقافات المختلفة وهضمها وتقييمها، حتى نقل هذا الحشـــد مـــن العلماء والمتخصصين والمترجمين إلى العربية بضع مئات من الكتـــب في الفلسفة والمنطق والطب والرياضيات. ففي الفلسفة نقل ثمانية كتـــب لأفلاطون، وتسعة عشر لأرسطاليس، وفي الطب نقل عشر كتب لأبقراط، وأربعة وستون لجالينوس، وغير ذلك كثير في زمن يسير.

---

[1] يذكر د. مصطفى السباعي في كتابه "من روائع حضارتنا"، ص165 أن " بيت الحكمة في بغداد، أنشأها هارون الرشيد، وبلغت ذروة مجدها في عصر المأمون".

[2] نسطوري: نسبة إلى فئة من النصارى تدعى النساطرة.

[3] الإغريقية: اليونانية.

[4] يحيط بتلك الألسن: يتقن إتقاناً تاماً تلك اللغات.

وأما الكتب التي ترجمت عن الفارسية في الفترة الأولى من الترجمة، فهـي نحـو عشـرين كتاباً في التاريخ والأدب، ونحو ثلاثين عن اللغة السنسكريتية، وأكثر ما في الرياضيات والطب والنجوم"[1].

فهذه المحصلة من التراجم كانت حصيلة ما ترجمه المترجمون مما كان يحصل عليه الرشيد والمأمون في فتوحاتهم، بأنقرة وعمورية وقبرص[2].

ومن أشهر المترجمين الذين نقلوا التراث اليوناني إلى العربية، الطبيب قسـطا بن لوقا، وحُنين ابن إسحاق[3] الذي كان طبيباً بارعاً، إضافة إلى إتقانه اللغة العربية والفارسية والسريانية واليونانية[4]. وكان المأمون يعطي حُنين هذا من الذهب زنة ما ينقله من الكتب إلى العربية مِثلاً بمِثل[5].

و لم تقتصـر هـذه النهضة العلمية للترجمة بمجملها على الخلفاء بل تعدها إلى الوزراء وأصحاب النفوذ، كما شارك فيها الأفراد والعائلات. وممـن يذكر في هذا المقام على سبيل المثال: البرامكة وزراء الرشيد. كما سـاهم بعدهم عدد ممن كان لهم شهرة علمية أمثال أولاد شاكر الثلاثة الذيـن جدوا في طلب العلوم القديمة وبذلوا فيها الرغائب في سبيل نقل هذه العلوم إلى العربية[6]، وخصصوا ريع أملاكهم الضخمة للترجمة وجمع الكتب[7].

---

(1) د. توفـيق يوسـف الواعي، الحضارة الإسلامية مقارنة "بالحضارة الغربية"، ص402، دار الوفاء، ط1، المنصورة – مصر، 1408هـ/ 1988م. – وانظر د. عبد الفتاح مقلد الغنيمي، المرجع السابق، ص32 – وانظر يوحنا كريستوف بيرغل، الوجه المزدوج للطب في الحضارة الإسلامية(1)، جريدة الحياة، العدد 11364، ص 18، 1994/3/29 م..

(2) د. مصطفى السباعي، المرجع السابق، ص 165 .

(3) قسطا بن لوقا وحُنين بن إسحق: نصرانيان.

(4) يوحنا كريستوف بيرغل، المرجع السابق، ص 18 – وانظر زيغريد هونكة، المرجع السابق، ص 389 .

(5) د. مصطفى السباعي، المرجع السابق، ص 165 .

(6) د. توفيق يوسف الواعي، المرجع السابق، ص 403 .

(7) زيغريد هونكة، المرجع نفسه، ص379 .

وممن ساهم كذلك في نقل هذه العلوم محمد بن عبد الملك الزَّيات، وكان يقارب عطاؤه للنقلة والنساخ ألفي دينار في الشهر[1]، ومنهم علي ابن يحيى، ومنهم إبراهيم بن موسى الكاتب، وغيرهم، حتى كانت السِّمَة الثقافية والعلمية في المجتمع الإسلامي هي صاحبة المكانة الرفيعة[2].

وامـــتدت هـــذه المســـاهمة عـــبر القرون لتشمل العديد من المدن الإسلامية، ولتمثل مراكز الإشعاع الحضاري. ومنها على سبيل المثال لا الحصـــر، مـــا كان من مساهمة القاضي جلال المُلك بن عمار في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي .حيث عمل على تجديد دار العلم ودار الحكمة في طَرابُلُس الشام سنة (472هـــ./ 1079م.)، فنَشرت العلوم والآداب، وأضـــحت طرابلس حينها من أهم مراكز الإشعاع الحضاري وجُهـــزت مكتبـــتها بمئـــة ألف مجلد، وكان هذا قبل استيلاء الصليبيين عليها[3]. وكانت هذه المكتبة قد حوت مائة وثمانين ناسخاً ينسخون فيها الكتب ويتبادلون العمل ليلاً ونهاراً بحيث لا ينقطع النسخ[4].

ومن الناقلين والمترجمين من المسلمين وغيرهم:

– أصـــطفان القـــديم، أيام خالد بن يزيد، نقل إلى العربية كُـــتُبَ الصِّفَة وغيرها، وكتاب الحشائش لديسقوريدس.

– آل مار سرجويه، أواخر العصر الأُموي وأوائل العصر العباسي، نقلوا العديد من الكتب الطبية إلى العربية .

– آل ثابت الحراني، في العصر العباسي، نقلوا إلى العربية كثيراً من الكتب في الطب والفلسفة.

---

[1] د. مصطفى السباعي، المرجع السابق، ص 165 .

[2] د. توفيق يوسف الواعي، المرجع السابق، ص 403 .

[3] محمد كرد علي، المرجع السابق، ج 4، ص 33 .

[4] د. مصطفى السباعي، المرجع نفسه، ص 166 .

– أبـــو زكريا يوحنا بن ماسويه، في عهد الرشيد، ترجم عدداً من الكتب الطبية.

– أبو سهل الفضل بن نوبخت، في عهد الرشيد، كان يعمل في بيت الحكمة.

– الحسن بن نوبخت، في عهد الرشيد، نقل من اللسان الفارسي إلى اللسان العربي.

– أبو عمر يوحنا بن يوسف، في عهد الرشيد، نقل كتاب أفلاطون في أدب الصبيان.

– أبـــو نـــوح بـــن الصلت، في عهد الرشيد أيضاً، من النقلة في الفلسفة.

– أحمد بن يوسف المصري، في عهد الرشيد أيضاً، ترجم لبطليموس كتاب جغرافيا المعمورة، من نقلة كتب اليونان.

– يعقـــوب بن إسحاق الكِنْدي في العصر العباسي، كان يراجع ما ترجمه العاملون في الترجمة في بيت الحكمة.

– إبراهـــيم بن عبد الله بن أبي الحريش، في عهد المأمون، كان في خزانة بيت الحكمة.

– ابن أبي رابطة، في عهد المأمون، من النقلة إلى العربية.

– ابن شهدي الكرخي، في عهد المأمون، نقل من السريانية كتاب الأَجِنَّة لأبقراط.

– أبو بشر متى بن يونس، في عهد المأمون، من النقلة في الطب.

– أبـــو زكرياء يحيى بن البطريق[1]، في عهد المأمون، من النقلة في العلوم.

---

[1] الـــبطريق: يُكتب هذا الاسم حالياً بالشكل التالي: " البطريرك"، وهو رتبة دينية كهنوتية نصرانية.

- أبو زكرياء بن يحيى بن عدي التكريـــتي، في عهد المأمون، عمل مترجماً في بيت الحكمة، نقل من السريانية إلى العربية.

- إســحاق بـــن حـــنين، في عهـــد المأمون، ترجم كتب الطب والفلسفة.

- أســطاث وجـــيرون بن رابطة، في عهد المأمون، من النقلة في الطب.

- الحجـــاج بـــن يوسف، في عهد المأمون أيضاً، أحد أفراد البعثة العلمـــية إلى ملـــك الروم لانتقاء الكتب ونقلها إلى العربية، نقل أصول الهندسة لإقليدس.

- أصـــطفان بن باسيل، في عهد المتوكل، نقل كتباً لجيلانوس في الطب وكتباً لـــ"دخروديس" [1].

وبعد هذا العرض السريع لعصر الترجمة يظهر أنه قد مرّ بدورين:

1 - دور الـــنقل المعجّل إشباعاً للنهم العقلي، كما تجلّى زمن خالد ابن يزيد الأموي مثلاً. ففي تلك الفترة كان من الطبيعي أن تتسلل في هذا الـــدور بعض المصطلحات الأعجمية مثل: هيولي، فنطاسيا، وناموس[2]، فلسفة، جغرافيا، سفسطي، إقليم، أثير[3].

2 - دور التمحيص والإتقان فيما تُرجم ويترجم، حيثُ تمّت خلاله مـــراجعة ما نُقل في هدوء، وتمّ وضع مصطلحات عربية خالصة بدلاً من المصطلحات الأعجمية، مع تجديد وزيادة وإبداع[4]، وليس أدل على ذلك

---

[1] لمزيد من التفصيل انظر د. توفيق يوسف الواعي، المرجع السابق، ص 392 - 401 .

[2] سعيد زايد، الخوارزمي والمصطلح العلمي في كتابه مفاتيح العلوم، الدارة، العدد1، ص 186، السنة 6، الرياض- السعودية، شوال 1400هـــ. - سبتمبر 1980م..

[3] إقليمـــيس داود، اللغة الشائعة في سورية قبل الهجرة، مجلـــة المشرق، م1، بيروت- لبنان، 1898م..

[4] سعيد زايد، المرجع السابق، ص 186 .

مـــن أن المـــترجمين الذين كانوا يتقنون هذا العمل كانوا نخبة من رجال الفكـــر الذيـــن يحسنون اللسان المنقول عنه واللسان العربي، الأمر الذي مكَّـــنهم من استخدام أسلوب مولَّد جديد يحتفظون فيه للعربية بصورها الـــنحوية والتركيبية، وقد عمدوا إلى تخصيص بعض ألفاظها للدلالة على المصـــطلحات الفلسفية والعلمية الجديدة، وكان إذا اضطرهم معنى لفظ أجـــنبي إلى الاحـــتفاظ به عرَّبوه، كما حدث في أسماء كثير من النباتات والأحجار والعقاقير إلخ..

وكانوا كثيراً ما يضيفون صيغاً جديدة، ولكنهم لم يتعدوا بها عن تركيـــب العربية، كما فعل ابن المقفع حيث يرى قارئ كتبه أن أسلوب الطابع العربي تام كامل[1].

وقـــد بلغـــت أعمال نسخ الكتب شأواً بعيداً، حيث شارك فيها العديـــد من النساء، ففي ضاحية قرطبة الغربية فقط، كان هناك ما يناهز 170 امـــراة يتكسبن من نسخ الكتب، وكان ينشر في قرطبة كل عام 60 ألف كتاب[2] في زمن لم يكن فيه طباعة ومطابع.

وأنشـــأ المســـلمون هناك في كل منطقة أو محلة مدارس ومكتبات وتـــرجموا كتـــب اليونان وأرسوا العلوم الرياضية والفلكية، واعتنوا بعلم الطبيعة والكيمياء، ووجهوا نشاطهم إلى كل علم وفن[3].

وممـــا يدل على اهتمام المسلمين بحركة الترجمة والنقل واهتمامهم بالكتـــب أن ما كان في مكتبة الحَكَم الثاني حاكم الأندلس يناهز حوالي

---

(1) د. شوقي ضيف، المرجع السابق، ص 124 – 125 .

(2) راشد الكيلاني، التعاون الثقافي الإسباني العربي، مجلة التـــراث العربي، السنة 8، العدد 32، ص 100، إتحـــاد الكتـــاب العرب، دمشق- سوريا، ذي القعدة 1408هـــ./ تموز "يوليو 1988م. – وانظر د. مصطفى السباعي، المرجع السابق، ص 166 .

(3) د. عبد الفتاح مقلد الغنيمي، المرجع السابق، ص41 .

500 ألـــف كتاب، عُلِّقَ على هوامش الكثير منها، ومن الجدير ذكره أن الحكم كان يحمل مكتبته معه على ثلاثين جملاً أينما رحل[1].

البحث العلمي:

رفض الإسلام التبعية الفكرية والتقليد الأعمى، ويُعطي القرآن الكريم مثلاً عن البحث والتقصّي في قوله جل وعلا: ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَـٰهَا وَزَيَّنَّـٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝ ﴾[2].

وقـــال تعـــالى: ﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَـٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۝ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝ ﴾[3].

فهنا دعوة للنظر والتبصر والبحث والتقصي عما يدور حول الإنسان وفي نفسه. وكانت الدعوة للبحث حتى عن الآثار، قـــال تعالى: ﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَـٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ۝ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ۝ ﴾[4].

فهاتان الآيتان تدعوان إلى البحث العلمي التاريخي الأثري، للتنقيب عـــن القـــرى البائدة، وأسباب انهيارها ودمارها، للاعتبار والانتفاع بما توصل إليه السابقون من كشوفات وتقدم حضاري[5].

---

(1) راشد الكيلاني، المرجع السابق، ص 100 .

(2) سورة ق، الآية 6 – 8 .

(3) سورة الذاريات، الآية 20 – 21 .

(4) سورة الحج، الآية 45 – 46 .

(5) لمزيد من التفصيل انظر عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، الحضارة الإسلامية، ص 326 – 331 ، دار القلم، ط1، دمشق– سورية، 1418هـــ/ 1998م..

وحضارة المسلمين قامت على الجمع بين الدين والدنيا، قال تعالى: ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴾[1].

ففي هذه الآية يتمثل اعتدال المنهج الإلهي القويم، المنهج الذي يُعَلِّق قلب الإنسان بالآخرة، ولا يحرمه من أن يأخذ قسطه في هذه الحياة، ويمكنه كذلك من الارتقاء الروحي الدائم من خلال حياته الطبيعية، التي لا حرمان ولا إهدار لمقومات الحياة الفطرية البسيطة فيها.

وكما كانت الدعوة إلى البحث والتقصي في القرآن الكريم كذلك يظهر الأمر نفسه في السنّة الشريفة، حيث لم يرتض رسولنا الكريم محمدﷺ أن يكون المسلمون وراء كل ناعق، بل عليهم أن يُحكِّموا عقولهم ويميزوا بين ما يضرهم وما ينفعهم. وفي ذلك ورد عن ابن مسعود قول النبي ﷺ: "لا يكونَنَّ أحدكم إمَّعَة. قيل: ما الإمَّعَة؟ قال: الذي يقول أنا مع الناس"[2].

فحثهم ذلك إلى إدراج المعرفة في النظر والتفكر عما يدور في هذا الكون الرحيب، والتّدبر في آلاء الله تبارك وتعالى.

ويظهر من خلال دراسة القرآن الكريم والسنة المطهرة مدى توجيههما المسلمين إلى البحث العلمي، تأملاً في السماء، وتأملاً في الأرض، وتأملاً في أغوار الأنفس، للوصول إلى الإيمان الحق، ولبناء الحضارة الإسلامية بناءً واقعياً مجيداً على أسسها الفكرية الراسخة [3].

وفي هذا السياق جاء عن عمر بن الخطاب ﷺ وأرضاه أنه رأى قوماً جالسين في المسجد بعد صلاة الجمعة، فسألهم: من أنتم؟. قالوا: نحن

---

[1] سورة القصَصَ، الآية 77.

[2] النهاية في غريب الحديث، ج1، ص 67.

[3] عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، المرجع السابق، ص327 .

المتوكلون على الله، فعلاهم بالدِّرَّة ونهرهم، وقال : لا يقعدنَّ أحدكم عن طلب الرزق ويقول: اللهم ارزقني، وقد علم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة، وأن الله يقول: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾[1].

والمؤمن يسخر الدنيا لنفسه، ولا يسخر نفسه للدنيا، أو يتخذها رباً من دون الله، وقد كان الصحابة رضي الله عنهم أجمعين زرّاعاً وتجّاراً وحِرفيين يعملون في هذه الدنيا حتى آخر لحظة في حياتهم تنفيذاً لأمر رسول الله ﷺ :" إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة[2]، فإن استطاع ألا يقوم حتى يغرسها، فليفعل"[3]،[4].

فمن القرآن والسنة كانت الدعوة للعمل. لذا اهتم المسلمون بأمر العمل وعملوا على تقصي أسسه للارتقاء في كل مجالات الحياة، مما دفعهم إلى العناية بالبحث العلمي.

وبعد نضوج هذا الأمر جعل المسلمون للعمل الصناعي والعمراني المتقدم المتطور بالاختراع والابتكار أركاناً أربعة هي:

"- الركن الأول: العلم الذي يعتمد على وسائل الاختبار والتجربة والاستنباط، وموقف الإسلام منه موقف التحريض والحث وفتحِ كل مجالات المعرفة أمام المسلمين الملتزمين بإسلامهم إلا ما كان من هذه المجالات مزلقاً من مزالق الشر والأذى كالسحر.

- الركن الثاني: التخيل الذي يرتبط به الابتكار والاختراع، والتخيل أفق من آفاق البحث العلمي الذي من شأنه أن يتناول الأشياء

---

[1] سورة الجمعة، الآية 10.

[2] فسيلة: غرسة.

[3] رواه أحمد والبخاري في الأدب المفرد.

[4] د. توفيق يوسف الواعي، المرجع السابق، ص 299.

الموجـــودة بالدراســـة والأشياء غير الموجودة من المُمْكنات العقلية بقوة التخيل من جهة، وبمعالجة الأشياء بالتحليل والتركيب، والجمع والتفريق، والامـــتحان والاختبار من جهة أخرى، وموقف الإسلام من هذا الركن موقف الدفع والتحريض.

- الركن الثالث: اعتبار كل ما تصل إليه القدرات الإنسانية في هذا الكون الواسع الأرجاء مسخَّراً لمنفعة الناس، ومباحاً لهم، وهذا الركن مما أعلنه الإسلام وحرص عليه.

- الـــركن الرابع: العمل الذي يرتبط به الإنتاج الصناعي والعمراني والاختراع والابتكار"[1].

ومن هذا العرض يظهر أن الإسلام أوجب الدقة وتحري الحقيقة في كل شيء، وإنشاء الأسلوب الدقيق الذي يقوم على التجربة والاختبار.

تتبع المنهج التجريبي:

اتَّبَع المسلمون في منهجهم العلمي التجريبي خطوات ثلاث هي:

"الخطـــوة الأولى: الوصف والتعريف، فعالِم النبات ينظر في أنواع النـــبات المخـــتلفة، وأوصاف الأوراق التي يحملها كل نبات، والأزهار الخاصة بذَوَات الأزهار، كما ينظر إلى غذاء كل نبات، وبعد أن ينظر إلى النبات من هذه النواحي وغيرها يُصَنِّفها ويُقَسِّمها إلى أسر وفصائل تتفق في الصفات والفصائل.

الخطـــوة الثانية: لا تقف عند المشاهدة والوصف بل تنتقل منها إلى الـــروابط، وافتراض تفسير لتلك الروابط ثم امتحان صحة هذا الافتراض، بإجراء التجارب المختلفة على هذا الفرض حتى تـــثبت صحته.

---

[1] د. توفيق يوسف الواعي، المرجع السابق، ص 299.

الخطــوة الثالــثة: إذا ما انتهينا عن طريق التجربة إلى وضع قوانين معيــنة، أتينا بخطوة ثالثة، هي: خطوة تنظيم هذه القوانين الجزئية، لكي تدخل في نطاق أعم، بأن تصبح مبادئ عامة كلية"[1].

هذا ويعتبر ابن الهيثم صاحب الفضل في تنظيم البحث العلمي إذ إنه كــان يأخذ بالطريقة الاستقرائية كثيراً (أي باستخراج مفردات العلم من قــاعدة عامة مفروضة) ثم يلجأ إلى الملاحظة الشخصية والتجربة ليكون واثقاً من النتائج التي يصل إليها[2].

واعــتمد ابــن الهيــثم في الرياضيات مثلاً، على مبدأي التحليل والتركيب في دراساته بوجه عام، وفي نهجه الرياضي بوجه خاص[3].

وقد تحدث بإسهاب كثير من المسلمين والمستشرقين عن فضل وعلم ابــن الهيــثم، وممن تحدث عنه من المستشرقين زيغريد هونكة التي قالت: "واضطر هذا[4] نفسه إلى نقد النظريات التي جاء بها رُكنا المعرفة الهيلينية[5] وذلــك في نقطة أساسية، لقد علَّم إقليدس وبطليموس بأن العين المجردة ترســل أشعةً إلى الأشياء التي تريد رؤيتها". فجاء ابن الهيثم وأعلن خطأ هذا الادعاء قائلاً: "ليس هناك من أشعة تنطلق من العين لتحقق النظر، بل إن شكل الأشياء المرئية هي التي تعكس الأشعة على العين، فتبصرها هذه الأخيرة بواسطة عدستها".

---

[1] د. توفيق يوسف الواعي، المرجع السابق، ص 296.

[2] د. عمر فروخ، المرجع السابق، ص 34.

[3] لمــزيد من التفصيل انظر عبد اللطيف أرناؤوط، الحسن بن الهيثم (354 – 430هــ.)، مجلة التراث العربي، السنة 13،العدد 53، ص 119، دمشق- سورية، جمادي الأولى 1414هــ./ تشرين الأول (أكتوبر) 1993م..

[4] هذا : أي ابن الهيثم.

[5] المعــرفة الهيلينية: الحضارة الإغريقية أو اليونانية. والمقصود برُكنَا المعرفة الهيلينية هما إقليدس وبطليموس.

وبهـــذا يكون قد حقق اكتشافاً عظيماً جاوز به حدود القدامى في حقـــيقة الحـــواس الخمس وإمكاناقما، ومختلف أنواع الظواهر الضوئية، وأوجد قانوناً أيَّدته تجارب مختلفة كل الاختلاف.

والواقـــع أن روجـــر بـــاكون، أو باكوفون فارولام، أو ليوناردو دافنشي، أو جاليليو، ليسوا هم الذين أسسوا البحث العلمي، إنما السَّبَّاقون في هـــذا المضمار كانوا من العرب[1]. والذي حققه ابن الهيثم، كما هو معروف عند الأوروبيين، لم يكن إلا علم الطبيعة الحديث، بفضل التأمل النظري والتجربة الدقيقة.

وفي حقـــل التجارب التي أجراها أثناء سجنه، وفي سنوات حريته المســـتردة، وُفِّقَ ابن الهيثم في دراسته لعلم البصريات وأحرز نجاحاً باهراً حقـــق لـــه تقدّماً فاق كل ما كان معروفاً شائعاً في مجالات هذا العلم، وأوجد بذلك حقلاً علمياً جديداً واسع الأرجاء.

كيف تحصل ظلمة القمر- أو كسوف القمر- عندما يكون له ضوء خاص به، بل يستقي نوره من الشمس؟ كان هذا سؤالاً تلته أسئلة أخرى في عـــالم الفلـــك انتهـــت به إلى نظريته القائلة بوجود الظل في اتساع الأجسام المضيئة، فلـــم يبق له إلا أن يجمع مصادر دراسته للنور، ففعل، ودرس من خلال تجارب عديدة كل ما يمكن أن يزيد في معلوماته، وأول ما خطه في هذا الموضوع، كان مخطوطة بعنوان "في طبيعة إلقاء الظل".

وكـــان ابن الهيثم أول من أجرى تجارب بواسطة نوع من (الآلة- الثقب) التي هي في الواقع صورة أولى لآلة التصوير فيما بعد، والتي برهنت لـــه تمـــدّد أشعة الضوء بخط مستقيم، كما أنه لم يصدّق عينيه حين رأى صورة العالم مقلوبة رأساً على عقب لدى انعكاسها.

---

[1] العرب: أي المسلمون.

ولقد لجأ إلى نفس ترتيب التجارب التي لجأ إليها فيما بعد ليوناردو دافنشي، واكتشف تعليلاً لكثافة مختلف الطبقات كالماء والهواء، واختلاف مدى انكسار الضوء في كل منها، ثم حَسَبَ، بالاستناد إلى ما سبق، علوّ الطبقة الهوائية المحيطة بالأرض وهي خمسة عشر كيلومتراً، وهكذا يكون خرج بنتيجة غاية في الدقة والصحة، لم يسبقه إليها أحد من قبل، ثم اهتم بتعليل ظهور الهلال، والغسق وقوس قزح، التي عجز عن شرحها علمياً الفيلسوف أرسطو ذاته. وتوسَّع، فيما بعد، بأبحاثه فشمل اهتمامه الآلات البصرية، فدرس وحسب درجة الانعكاس في المرايا المستديرة والمرايا المحرَّقَة بالدوائر"[1].

"وتوصل إلى معرفة قانون تأثير العاكسات الضوئية، ثم حقق في تأثير التقاء الأشعة وتكبير الأحجام، ليس بواسطة المرآة المحرقة فقط، بل الزجاجة المكبرة، واخترع أيضاً أول نظارات للقراءة. وهكذا يكون ابن الهيثم قد أثبت عظمته وأستاذيته، كمفكر وعالم مجرب، في أبحاثه حول مسير الضوء ضمن الكرة، تجارب دفعت شارحه[2] "كمال الدين" إلى القيام بها نظرياً بعد قرنين من الزمن.

لقد كان تأثير هذا العربي[3] النابغة على بلاد الغرب عظيم الشأن فسيطرت نظرياته في علمي الفيزياء والبصريات على العلوم الأوروبية حتى أيامنا هذه. فعلى أساس كتاب "المناظير" لابن الهيثم نشأ كل ما يتعلق بالبصريات، ابتداءً من الإنكليزي "روجر باكون" حتى الألماني فيتللو. وأما ليوناردو دافنشي الإيطالي، مخترع آلة (التصوير الثقب) أو الآلة المعتمة،

---

[1] لمزيد من التفصيل انظر زيغريد هونكة، المرجع السابق، ص 148- 149 .

[2] شارحه: شارح كتبه.

[3] العربي: المقصود المسلم.

ومخـــترع المضخة والمخرط وأول طائرة – ادعاءً –، فقد تأثر تأثراً مباشراً بالعرب[1]، وأوحت إليه آثار ابن الهيثم أفكاراً كثيرة.

وعـــندما قـــام يوهـــانس كِـــبلر، في ألمانية، خلال القرن العاشر الهجـــري/الســـادس عشـــر الميلادي، "ببحث القوانين التي تمكن غاليليو بالاستناد إليها من رؤية نجوم مجهولة من خلال منظار كبير، كان ظل ابن الهيـــثم الكـــبير يجـــثم خلفه. وما تزال حتى أيامنا هذه، المسألة الفيزيائية الرياضية الصعبة، التي حلها ابن الهيثم بواسطة معادلة من الدرجة الرابعة، مبرهناً بهذا عن تضلّعه البالغ من علم الجبر، نقول، ما تزال المسألة القائمة على حَسْبِ موقع نقطة التقاء الصورة التي تعكسها المرآة المحرقة بالدوائر على مسافة منها، ما تزال تسمى بـــ"المسألة الهيثمية" نسبة إلى ابن الهيثم نفسه"[2].

وإذا مـــا أخذنا نموذجاً آخرَ من المنهج العلمي التجريبي الإسلامي فإنـــنا نذكر الجزاري صاحب كتاب "الجامع بين العلم والعمل النافع في صـــناعة الحيل" والذي كتبه عام (602هـــ./ 1206م.)، والذي يحوي أهم الأساليب والأدوات عند أسلافه ممن اعترف بفضلهم مع ذكر أسمائهم في الأماكن المناسبة . وقد نقد في مؤلفه "كل من وضع كتاباً عن الآلات من غير أن يقوم بتجربة تصاميمه بنفسه ليتأكد من عملها، وشكك في العلم الصناعي الذي لم تثبته التجربة، وبهذا تُعتبر أجزاء كتابه طريقة لإجراءات المعايـــرة. وقام بتجربة ليختبر ثلاثة تصاميم مختصة في تنظيم جريان الماء ووجـــد أنهـــا غير قابلة للعمل، فصمَّمَ منظماً آخر وأجرى عليه سلسلة اختبارات وتجارب حتى صار قابلاً للعمل، لذلك يمكن القول أن الجزاري ومـــن ســـبقه مـــن العلماء كانوا مطبِّقين تماماً للمنهج العلمي التجريبي

---

[1] العرب: أي المسلمين.

[2] زيغريد هونكة، المرجع السابق، ص 150.

الإسلامي، فقد كانت معظم المصادر التي استعان بها الجزاري- على سبيل المثال- إسلامية وليست مترجمة عن الإغريقية أو غيرها، وذكر تقي الدين، الذي تأثر كثيراً بتراث الجزاري وأسلافه، أن كتب الإغريق قد أُهملت واختفت لأنها لم تصمد أمام الفحص والتثبت بالتجربة، وهذا كان رأي الجزاري وغيره من الباحثين الإسلاميين في الأعمال الإغريقية، التي تعتبر أفضل علم قديم معروف، وكان الفلاسفة الإغريق يعتقدون أن بإمكانهم اكتشاف الحقائق وحتى حقائق العلوم والتكنولوجيا الطبيعية عن طريق العقل النظري، وهذا ما يسمى بالمنطق وطرق الاستنتاج. ولهذا وفّر الفكر الإسلامي الإيديولوجية (الفكرية) والمنهجية المناسبة لتطوير المنهج الإسلامي العلمي، وجاء تطوير القوة عن طريق تبني الآلات والأساليب القائمة من قبل وتحسينها المبدع واختراع آلات وتكنولوجيا جديدة كثمرة من ثمار الفكر الإسلامي، وهذا شارك في النقلة النوعية لتقدم الحضارة الإنسانية"[1].

وفي مجال علم الحديث الشريف يبدو المنهج العلمي الإسلامي واضحاً "إذ وجد الواضعون[2] عملهم سهلاً ميسوراً لأن فكرة العنعنة[3] أو الرواية الشفوية تفتح الباب على مصراعيه لكل نوع من التزوير.

وكذلك كان تزوير الوثائق التاريخية لصالح فئات، أو لإلحاق الضرر بها، فاشياً على نطاق واسع بين الناس. وقد اعتبر علماء المسلمين أن من واجبهم أن يضعوا مبادئ وقوانين عامة لمعرفة الصحيح من المزوّر.

---

(1) د.سيد وقار أحمد حسيني، الفكر الإسلامي في تطوير مصادر المياه والطاقة، ص 313- 314، تقديم د. محمود عكام، ترجمة سمية زكريا زيتوني، فصلت للدراسات والترجمة والنشر، ط1، حلب - سورية، 1998م..

(2) الواضعون: واضعو الأحاديث الكاذبة.

(3) العنعنة: روى فلان عن فلان عن فلان...

وقصـــة الخطيب البغدادي حين فضح الوثيقة التي مُنح يهود خيبر بموجبها امتيازات خاصة البغدادي شهرة واسعة باقية. وتجدر الإشارة هنا إلى أن الخطيـــب البغدادي لم يضف بذلك شيئاً جديداً بل فعل ما كان يفعلـــه المسلمون الذين كانوا يقابلون بين التواريخ المذكورة في الخبر أو القصة التي يحققون في صحتها أو عدم صحتها، وإذا ظهر تباين أو تناقض حكموا بأن الخبر لا يمكن أن يكون صحيحاً بالشكل الذي ورد فيه"[1].

وفي مجـــــال التاريخ مثلاً فقد اعتمـــد المقريزي (ت.846هــ./ 1442م.) للمـــنهج العـــلمي في كتابته لمؤلفه "خطط مصر" أو "الخطط المقريزية" ثلاثة مصادر هي:

أولاً: المصنفات الأدبية.

ثانـــياً: المعلومـــات التي استطاع جمعها من أساتذته ومعاصريه من العلماء.

ثالـــثاً: المعلومـــات المبنيّة على اختباره الشخصي وعلى مشاهداته. وعند كلامه عن أسلوبه التاريخي المتبع يقول: "وأما الرواية عمّن أدركتُ من الجُلّة والمشايخ، فإني في الغالب والأكثر أصرح باسم من حدثني إلا أن لا يحـــتاج إلى تعيينه أو أكَون قد أُنْسيتُه، وقَلّ ما يتفق مثل ذلك. أما ما شاهدته فإني أرجو أن أكون، ولله الحمد، غير متهم ولا ظِـــنّين"[2].

---

[1] د. فرانتز روزنتال، مناهج علماء المسلمين في البحث العلمي، ص 130- 131، دار الثقافة ، ط4، بيروت- لبنان، 1403هــ./ 1983م..

[2] المقريزي (تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي المقريزي)، المواعظ والاعتبـــار بذكر الخطط والآثار، ج1، ص 4، إعداد د. سمير سرحان، د. محمد عناني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مهرجان القراءة للجميع، مكتبة الأسرة، سلسلة التراث، الإسكندرية- مصر، 1998م..

العلماء والبحث العلمي:

خــاض العــلماء المسلمون معركة عنيفة للحفاظ على حقهم في البحــث العــلمي والفرص اللازمة لممارسته، ولكنهم، فيما يبدو، كانوا يخوضون معركة خاسرة. فإن ابن خلدون يقول لنا إن النشاط الهائل على مدى عدة قرون في كل حقل من الحقول الأدبية والعلمية أسفر عن تأليف عدد ضخم من الكتب، فلم يكن عمر العالِم المختص يكفي لقراءة كل ما كتب في ميدان اختصاصه فكيف بدراستها. ومن هنا كان ازدياد الطلب على الكتب الموسوعية المختصرة. وقد رأى ابن خلدون من الضروري أن يخصــص فصلين من مقدمته ليدلل على الآثر السَّيِّء لهذه الحال في العمل العلمي[1].

"ومــن الأسباب الرئيسية التي كانت تمنع العالِم من أن ينصرف إلى التخصــص[2] في فــن واحد، صفة إنسانية تعم البشر جميعاً وهي كراهية الإنسان للاعتراف بجهله. ولقد كانت هذه الصفة بارزة بصورة واضحة في عصــر المخطوطــات، فقــد كانــت صعوبة الحصول على الحقائق والمعلومــات المدونة، تلك الصعوبة التي أسفرت عن تقدير الناس للحفظ والعــلم المحفوظ وإحلاله المحل الأول، جعلت العالم الذي يود أن يحتفظ بمقامه وشهرته في المجتمع أن يكون مستعداً للإجابة عن كل سؤال. ومن الــنادر أن نعثر على عالم يعترف أن الذاكرة كانت تخونه، أو أن الخبر لم يعلق بذهنه، أو أنه يجهل هذا الأمر. ويبدي أبو الحسن الدارقطني دهشته واســتغرابه مــن أن أبا بكر الأنباري تراجع عن غلطة ارتكبها في حلقته وأصــلح خطــأه عــندما نبهه الدارقطني على ذلك، وكان أبو الحسن الدارقطــني يحضر مجالسه، وقد ذكر الأنباري اسم الدارقطني على أنه هو

---

[1] ابن خلدون، المرجع السابق، ص 106.

[2] د. فرانتز روزنتال، المرجع السابق، ص 166 .

الـــذي نـــبّهه إلى الخطأ[1]. ويعترف ابن رشيق بضَعف ذاكرته فيذكر لنا خـــبراً ما قيل في ذي الرمة وفي أبي تمّام يشبه الخبر الذي كان يتكلم عنه، ولكنه لم يحفظه" [2].

"وقد سبقه إلى الاعتراف بضعف الذاكرة الثعالبي، فإنه كثيراً ما يذكر في مواضع مختلفة من تصانيفه أنه نسي بعض الأسماء أو رواية بعض الأشعار، أو أنه لا يذكر سوى بعض أبيات من القصيدة أو سوى أبيات لشاعر ما[3]. ولذا نجد أن الثعالبي كان يذكر بعض الشعراء في آخر كتابه "تتمة اليتيمة" وليس في مواضعها المقررة لها لأن الشيطان أنساه ذكرها في أماكنها"[4].

منجزات المنهج التجريبي:

كـــان للمنهج التجريبي أهمية كبرى في حياة العلماء المسلمين حيث يتبين أنهم:

1 – أول مـــن اســـتعمل المـــنهج التجريبي، واستخرجِ المجهول من المعلـــوم، واســـتنبط العلـــل من المعلولات، و لم يسلموا أبداً إلا بما يثبت بالتجربة والترصد.

2 – فحصـــوا تـــراث الإغريق العلمي، الذي انتقل إلى البيزنطيين وغيرهـــم، فلم يستفيدوا منه، أو يمحصوه، فلما آل إلى المسلمين درسوه ونقحوه، وأبانوا ما فيه من زيف، وما فيه من علم يستحق التطوير.

---

[1] ياقوت الحموي، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ج7، ص 74، تحقيق د. إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت-لبنان، 1993م..

[2] ياقوت الحموي، المرجع السابق، ج7، ص 74.

[3] الثعالبـــي، تتمة اليتيمـــة، ج1، ص 13، 26، 31، 85، وفي الجزء 2، ص 76 – نقـــلاً عن د. فرانتز روزنتال، المرجع السابق، ص 167.

[4] الثعالبي، تتمة اليتيمة، ج2، ص 88 – نقلاً عن د. فرانتز روزنتال، المرجع السابق، ص 167.

3 – اعــتماد المســلمين عــلى المنهج التجريبي، منح مؤلفاهم دقة وإبداعــاً وثقــة فتحــت آفاقاً بعيدة في العلم، وكان سبباً في فتح كنوز الأرض وخيرها على العَالَم [1].

وهذا الفضل في أهمية المنهج التجريبي العلمي اعترف بفضله جهابذة المستشرقين الغربيين وعلى رأسهم د. غوستاف لوبون[2] الذي له تحقيقات واسعة يشرح فيها فضل المسلمين على المدنية الغربية الحديثة، فمما جاء منها لدى حديثه عن مناهج المسلمين العلمية:" إن خزائن الكتب والمختبرات والآلات هي مواد للتعليم والبحث اللازم، ولكنها ليست إلا أدوات وقيمتها مناطة بالطريقة التي تستعمل فيها، فقد يتلقف المرء علم غيره وهو عاجز عن أن يفكر فيه بنفسه أو يبتدع أي شيء، وقد يكون تلميذاً دون أن يوفق إلى أن يصبح أستاذاً، أما العرب[3] فبعد أن كانوا تلاميذ عاديين أساتذهم تآليف اليونان أدركوا للحال أن التجربة والترصد خير من أفضل الكتب (يعني بذلك ما تدخل في مجالات العلوم المادية والصناعات) هذه الحقيقة اليوم معروفة لا يعدّ العمل بها بدعاً، ولكنها لم تكن كذلك في سالف الدهر، فقد ظل علماء القرون الوسطى يشتغلون ألف سنة قبل أن يدركوها"[4].

ويقول د.غوستاف لوبون أيضاً: "إن أول من قام بالتجربة والترصد في الغرب هو بيكن. ولكنه يجب أن يعترف اليوم بأن ذلك كله من عمل العــرب[5] وحدهــم، وقد أبدى هذا الرأي مع ذلك جميع العلماء الذين

---

[1] د. توفيق يوسف الواعي، المرجع السابق، ص298.

[2] د.غوستاف لوبون: عالم نفس واجتماعي فرنسي. كان متعصباً للعنصرية، وهو من الكتّاب الغربيين الذين ألّفوا عن الإسلام والحضارة العربية الإسلامية .

[3] العرب: أي المسلمون.

[4] عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، المرجع السابق، ص161 – 162 .

[5] العرب: أي المسلمون.

درسوا مؤلفات العرب[1]، ولا سيما همبولد. العالم الشهير الذي بنى بحوثه على التجربة، ثم قال: إن من قام على التجربة والترصد هو أرفع درجات العلـــوم قـــال: إن العرب[2] ارتقوا في علومهم إلى هذه الدرجة التي كان يجهلها القدماء تقريباً"[3].

أمـــا كوبلر يونج فقال في ذلك :" ليس هناك من شك في أن روح البحـــث العـــلمي الجديد وطريقة الملاحظة والتجربة اللذين أخذت بهما أوروبة إنما جاءا من اتصال الطلاب الغربيين بالعالم الإسلامي"[4].

أما زيغريد هونكة فقالت:" فالعرب[5] في الواقع، هم الذين ابتدعوا طريقة البحث العلمي الحق القائم على التجربة.

لقد سرت بين العلماء الإغريق، الذين لم يكونوا جميعاً بالإغريقيين بـــل كـــان أغلبهم من أصل شرقي، سرت بينهم رغبة في البحث الحق، وملاحظة الجزئيات، ولكنهم تقيدوا دائماً بسيطرة الآراء النظرية. و لم يبدأ البحـــث العـــلمي الحـــق الدائب الذي يمكن الاعتماد عليه، يتدرج من الجزئـــيات إلى الكلـــيات، وأصـــبح منهج الاستنتاج هو الطريقة العلمية السليمة للباحثين. وبرزت الحقائق العلمية كثمرة للمجهودات المضنية في القياس والملاحظة بصبر لا يعرف الملل. وبالتجارب العلمية الدقيقة التي لا تحصـــى، إختبر العرب النظريات والقواعد الآراء العلمية مراراً وتكراراً، فأثبـــتوا صـــحة الصحيح منها، وعدلوا الخطأ في بعضها. ووضعوا بديلاً للخاطـــئ مـــنها متمتعين في ذلك بحرية كاملة في الفكر والبحث، وكان

---

[1] العرب: أي المسلمون.

[2] العرب: أي المسلمون.

[3] د. توفيق يوسف الواعي، المرجع السابق، ص 297 .

[4] كوبلـــر يونـــج، أثر الإسلام الثقافي على المسيحية، مجلـــة آفاق الإسلام، السنة5، العدد1، ص 59 ، عمان- الأردن، آذار 1997م..

[5] العرب: أي المسلمون.

شعارهم في أبحاثهم – الشك هو أول شروط المعرفة- تلك هي الكلمات التي عرفها الغرب بعدهم بثمانية قرون طوال. وعلى هذا الأساس العلمي سـار العرب[1] في العلوم الطبيعية شوطاً كبيراً، أثر فيما بعد، بطريق غير مباشـر، على مفكري الغرب وعلمائه أمثال روجر باكون، وماجنوس، وفيتيليو، وليوناردو دافنشي، وجاليليو.

إن العـرب[2] لم يـنقذوا الحضارة الإغريقية من الزوال ونظموها ورتبوها ثم أهدوها إلى الغرب فحسب، إنهم مؤسسو الطرق التجريبية في الكيمـياء والطبيعة والحساب والجبر والجيولوجيا وحساب المثلثات وعلم الاجـتماع. وبالإضافة إلى عدد لا يحصى من الاكتشافات والاختراعات الفـردية في مختلف فروع العلوم والتي سُرِقَ أغلبها ونُسِبَ لآخرين، قدم العرب[3] أثمن هدية وهي طريقة البحث العلمي الصحيح التي مهدت أمام الغرب طريقه لمعرفة أسرار الطبيعة وتسلطه عليها اليوم.

ولعل أبرز رجال الغرب الأوائل الذين بهرتهم حضارة العرب[4] ولم يخجلوا من الارتباط بهم هو القيصر الصقلي فردريك الثاني، أحد القياصرة الأعلام في التاريخ"[5].

هذه نبذة عن المنهج العلمي لدى المسلمين الذي بهر علماء الغرب طيلة قرون، وحريٌ بنا بأن نعود إلى ما كان عليه أسلافنا من أمة محمد ﷺ إذا ما عدنا وتمسكنا بما تمسك به الأوائل من أبناء هذه الأمة، ألا وهو التمسك بالدين الحنيف المنفتح على العالم لما فيه خير البشرية ابتداءً من

---

(1) العرب: أي المسلمون.
(2) العرب: أي المسلمون.
(3) العرب: أي المسلمون.
(4) العرب: أي المسلمون.
(5) زيغريد هونكة، المرجع السابق، ص 401 - 402.

أول ما نــزل من القــرآن وهو قوله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ﴾[1]، إلى آخر تنــزيل ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾[2]. حتى كانت الأمة الإسلامية خير أمة أخرجت للناس. وهي متمثلة بقوله تعالى: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾[3]. وإن غداً لناظره قريب بأن نعود خير أمة، بإذن الله.

---

[1] سورة العلق، الآية 1.

[2] سورة المائدة، الآية 3.

[3] سورة آل عمران، الآية 110.

الفصل الرابع

من أثر حركة الترجمة والعلوم الإسلامية في الأندلس

تمهيـــد

قامـــت الحضارة الإسلامية بدور كبير في إنماء أوروبة عبر الأندلس وصقلية وجنوب إيطاليا والحروب الصليبية.

ومـــن آثـــار هـــذه الحضارة أنها نقلت علوم الأقدمين وطورتها بما يتناسب ومعطيات العصر الذي دونت فيه إضافة إلى العلوم الإسلامية التي اشتهرت في زمنها.

وكـــان هـــناك فضـــل كبير لحركة نقل العلم الإسلامي إلى العالم المســـيحي خاصة في الأندلس لأنها "كانت موطناً للعلوم والعلماء، ووفد إليها كثير من طلاب العلم في أوروبة بأعداد غفيرة في كل فن وعلم، في الطـــب، في الصـــيدلة، والكيمـــياء، والنـــبات، والرياضيات، والفلك، والفلسفة، وكانت جامعة قرطبة ومكتبتها مركزاً للعلوم، يشع منها العلم إلى كل أرجاء القارة الأوروبية. ولقد قام العلماء- بتشجيع من الخلفاء- عـــلى مواصلة البحث العلمي، والتأليف، والترجمة، حتى بلغ عدد الكتب الموجـــودة في مكتبة جامعة قرطبة وحدها نصف مليون كتاب، وضع لها فهـــرس مكـــون مـــن أربعة وأربعين مجلداً. وكان شغل الأمراء والخلفاء وعظمـــاء الدولـــة هو جمع العلماء والمؤلفات من شتى الأقطار، واقتناء الكتـــب، ومواصلة البحث، وعقد الندوات العلمية، ولهذا بلغت النهضة العلمـــية والحضارية في بلاد الأندلس مبلغاً دعا إلى الدهشة والإعجاب، وقـــال كثير من علماء الغرب: إن الخدمات العلمية التي أداها المسلمون للعلـــوم غير مقدرة حق قدرها من المؤرخين، وإن البحوث الحديثة دلت على اغترافنا من العلم العربي[1] في العصور الوسطى، بينما كانت أوروبة غارقة في ظلمات الجهالة"[2].

---

(1) العربي: أي الإسلامي.

(2) د. توفيق يوسف الواعي، المرجع السابق، ص 454.

وفي هـــذا المجال تقول الدكتورة زيغريد هونكة: "إن أوروبة تدين للعرب[1] وللحضارة العربية[2]، وإن الدّيْن الذي في عنق أوروبة أن تعترف بهذا الصنيع من زمن بعيد، لكن التعصب الديني، واختلاف العقائد، أعمى عيونـــنا، وترك عليها غشاوة، حتى أننا نقرأ ثمانية وتسعين كتاباً من مائة، فلا نجد فيها إشارة لفضل العرب وما أسدوه إلينا من علم ومعرفة"[3].

ثم تقـــول: "إن هـــذه الطفـــرة العلمية الجبارة التي نهض بها أبناء الصـــحراء، ومن العدم، من أعجب النهضات العلمية الحقيقية في تاريخ العقـــل البشري. فسيادة أبناء الصحراء التي فرضوها على الشعوب ذات الـــثقافات القديمة وحيدة من نوعها، وإن الإنسان ليقف حائراً أمام هذه المعجـــزة العقلية الجبارة. هذه المعجزة العربية، التي لا نظير لها، والتي يحار الإنســـان في تعليـــلها وتكيـــيفها، إن هذا الشعب الصحراوي حمل لواء النهضـــة العلمـــية الفكرية في العالم، وبسرعة البرق قبض على صولجان السيادة الثقافية في العالم"[4].

وتضـــيف الكاتـــبة الألمانية زيغريد هونكة في تعليق لها حول اللغة العربـــية جاء فيه: "ومن ذا الذي يريد أن يخرج عن لغة الجماعة؟ وكيف يســـتطيع أن يقـــاوم جمال هذه اللغة ومنطقها السليم وسحرها الفريد؟ فجيران العرب أنفسهم في البلدان التي فتحوها سقطوا صرعى سحر تلك اللغة، حسبما كان يشكو أساقفة إسبانية بمرارة. فلقد اندفع الناس الذين بقـــوا على دينهم[5] في هذا التيار يتعلمون اللغة العربية بشغف، حتى إن

---

(1) للعرب: أي للمسلمين.

(2) العربية: أي الإسلامية.

(3) زيغريد هونكـــة، المرجع السابق، ص 1- وانظر د. توفيق يوسف الواعي، المرجع السابق، ص 454.

(4) زيغريد هونكة، المرجع نفسه، ص 257.

(5) بعد الفتح الإسلامي للأندلس.

اللغة القبطية، مثلاً، ماتت تماماً. بل إن اللغة الآرامية، لغة المسيح-عليه السلام-، قد تخلت إلى الأبد عن مركزها لتحتل مكانها لغة محمد-ﷺ-.

كما أنه وجب ترجمة بيانات البابا وقرارات المؤتمرات المسيحية في القرن التاسع[1] إلى العربية، للأقلية المسيحية في الأندلس التي لم تعد تفهم اللغة اللاتينية. وحتى بعد احتلال المسيحيين ثانية للأندلس، فقد رأت الكنيسة نفسها مجبرة على أن تترجم الإنجيل لهؤلاء المسيحيين، بعد تحررهم[2]، إلى اللغة العربية"[3].

وبقيت اللغة العربية محتفظة بمكانتها الرفيعة عند النصارى، لغة للعلم والحضارة "أكثر من مائتين وخمسين سنة، بعد سقوط طليطلة في الأندلس بأيدي النصارى في سنة (478هـ./1085م.) فقد استمر المعاهدون[4] يستخدمون اللغة العربية في تحرير عقود الزواج والممتلكات، وفي غيرها من المصالح العامة حتى القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، مما أدى إلى دخول كثير من المفردات والمصطلحات العربية في اللغة الإسبانية الحديثة.

كما اضطر رجال الكنيسة- نظراً لانتشار اللغة العربية واستخدامها- إلى تعريب مجامعهم القانونية وإلى قراءتها باللغة العربية في الكنائس الإسبانية.

---

[1] التاسع الميلادي/ الثالث الهجري.

[2] بزعمها، لأن النصارى لم يكونوا مضطهدين في دولة الإسلام، وأهم دليل على هذا وجود النصارى من السكان الأصليين حتى الآن في كافة بلاد المسلمين بعكس ما تصرف به النصارى مع المسلمين في كل بلد احتلوه وسيطروا عليه.

وفي بعض الفترات التي اضْطُهِد فيها أهل الذمة في بعض أنحاء العالم الإسلامي عبر التاريخ، كان المسلمون مضطهدين أيضاً من حكامهم، وفي بعض المراحل التاريخية جرى التشدد في مراقبة أهل الذمة نتيجة لتعاون قسم منهم مع أعداء الإسلام ضد الدولة الإسلامية.

[3] زيغريد هونكة، المرجع السابق.

[4] المعاهدون: أهل العهود والمواثيق.

كما قام خوان الإشبيلي Juan de Seville بتحرير معارض[1] الكتب المقدسة باللغة العربية ليفهمها الناس. كما استخدم خايمي الأول Jaime1 ملك أرغونة Aragon اللغـــة العربية في تحرير كتاب التقسيم El librodel Repartimient فقـــد ســـجل الملك في هذا الكتاب أحياء جزيرة ميورقة Mallorca ودُورُهـــا التي وزعها على النبلاء والفرسان الذين اشتركوا معه في الاستيلاء على ميورقة في شهر (صفر سنة 627هـــ./ديسمبر 1229م.).

كذلـــك استخدمت اللغة العربية أيضاً في كتابة العقود التي كانت تجـــري بين المسلمين المُدَجَّنين[2]. وفي كتابة العقود التي كانت تجري بين المدجنين والنصارى.

وجمـــيع هذه الوثائق هي عقود تعامل من بيع وشراء أو هبة وإيجار إلخ... جرت في مدينة طليطلة خلال القرنين (6 و7 هـــ./12 و13م.)"[3].

وتجـــدر الإشارة إلى أنه يوجد على جميع الوثائق شهود مُدَجَّنُون، ولكـــنهم لم يوقعـــوا أسماءهم بأيديهم[4]، بل كتبها عنهم الموثق مسبوقة بعبارة: كتب عنه وبأمره[5].

كما كانت اللغة العربية لغة العلوم والرياضيات، وهذه شهادة لأحد العـــلماء الغربيين يقول فيها: "كان الدافع الأول للاهتمام بالعربية هو أن

---

[1] معارض: شروحات.

[2] المدجـــنون: اسم أُطلق على مسلمي الأندلس الذين انضموا إلى المجتمع الإسباني بعد سقوط الأندلس- المنجد في اللغة والأعلام قسم الأعلام، ص 526، المنجد في اللغة، ط 35، المنجد في الأعلام، ط2، دار المشرق، بيروت- لبنان، 1996م..

[3] د.هشام أبو رميلة، الإسبان والحضارة الإسلامية، مجلة معهد المخطوطات العربية، م30، ج2، ص674 وما بعدها، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الكويت - الكويت، ذو القهدة 1406هـــ.- ربيع الآخر 1407هـــ./ يوليو- ديسمبر 1986م..

[4] لعـــل سبب عدم التوقيع، رغم كون المسلمين متعلمين، هو الاضطهاد الشديد الذي عاشه المدجَّنون، بحيث كانت كلمة الكاتب هي الفصل، والشهود تحصيل حاصل لطبيعة الواقع، أو كانت أسلوباً معتمداً في ذلك الوقت (شهادة دون توقيع، فقط ذكر الاسم).

[5] د. هشام أبو رميلة، المرجع السابق، ص676.

اســتعمالها كان كوسيلة من أجل فهم ما كتب بها في الرياضيات، وذلك لأهمية الرياضيات العربية في القرن-الحادي عشر الهجري-/السابع عشر- الميلادي- بينما كانت الرياضيات الأوروبية آخذة في التطور والنمو"[1].

ويقــول الفيلسوف الألماني "نيتشه": "حرمتنا المسيحية من ميراث العبقرية القديمة التي حرمتنا بعد ذلك من الإسلام"[2].

والحضــارة الإســلامية فرضت نفسها في الأندلس وفي غيرها من البلاد، بفضل ما لها من خصائص ومقومات، لا يشاركها فيها أية حضارة أخــرى، وبهذا أصبحت المدن الإسلامية، ومنها مدن الأندلس، منارات علمية. وأولع الشباب الأوروبي بالثقافة الإسلامية وأقبلوا على تعلم اللغة العربــية لغــة الثقافة والعلم لدرجة أنهم هجروا لغتهم القومية، وثقافتهم الدينية، وفكرهم اللاهوتي. وارتفعت أصوات الرهبان بالشكوى من جراء ذلك، لأن الشباب وجد من أخلاق المسلمين ومعاملتهم وعلمهم ما أسرَّ لبهم، ولفت انتباههم إلى هذه الحضارة السامية [3].

وكتــب جورج الثاني ملك انجلترا إلى هشام الثالث الخليفة الأموي بالأندلس يقول: ("لقد سمعنا عن الرقي العظيم الذي تتمتع به معاهد العلم والصناعات في بلادكم العامرة، فأردنا لأبنائنا اقتباس نماذج هذه الفضائل؛ لــتكون بدايــة حسنة في اقتفاء أثركم، لنشر أنوار العلم في بلادنا، التي يســودها الجهل من أربعة أركان". ولقد أرسل الملك وفداً برياسة وزيره الأول إلى الأندلــس، وكان ملك بلغاريا قد أرسل وفداً إلى الأندلس في عهــد هشــام الأول؛ لدراســة نظم الحكم، ومناهج التعليم، وأساليب الإدارة. وعند عودة البعثة أمر الخليفة بأن يرافقها مستشارون وخبراء من

---

[1] د. نيقولاوس فان، المرجع السابق، ص 12.

[2] د. توفيق يوسف الواعي، المرجع السابق، ص455.

[3] د. توفيق يوسف الواعي، المرجع نفسه، ص 455.

الأندلس، ليساعدوا الملك في كل ما يريد، ثم أخذ ملوك أوروبة ينسجون على منوال ملك بلغاريا) [1].

وبلغت أصول ومراسيم المقابلات بالنسبة للأندلس حداً عالياً فاقت غيرها من البلدان. وكانت هنالك حقوق وحصانات للوفود القادمة، وكانوا يكرمون منتهى الإكرام وتقدم لهم الهدايا. كما وضعت بذور السفارات الدائمة[2].

وفي معرض الحديث عن المنصفين للحضارة الإسلامية وعظمتها وأثرها قالت زيغريد هونكة عن الحضارة الأندلسية التي أقامها المسلمون هناك فترة حكمهم لتلك البلاد التي دامت حوالي 800 سنة:"خلقت الأُسَر العربية الحاكمة للأندلس حضارة زاهرة. وتسابق الأمويون في قرطبة وبنو عَبَّاد في أشبيلية، وبنو نصر في غرناطة في بناء صرح الحضارة الشامخ"[3].

بينما بقي جيرانهم "على الجانب الآخر من البرانس[4] قرنين وثلاثة وأربعة قرون يصمون آذانهم ويغمضون عيونهم عن جنة العلوم والبناء والغناء والشعر والمرأة في الأندلس.

ورأوا في تلك الحضارة الزاهرة صورة قاتمة سوداء "للكفرة" من أصحاب محمد تضم السحرة وحلفاء الموت والشيطان. لقد كانوا، في الواقع يخشون نور المعرفة على عيونهم التي اعتادت الظلام. ولكن تلك اليد السحرية لم تلبث أن لمست الغرب برغم أنفه لتهزه من سباته العميق"[5].

---

[1] د. توفيق يوسف الواعي، المرجع السابق، ص 450.
[2] د. عبد الرحمن علي الحجي، المرجع السابق، ص 66.
[3] زيغريد هونكة، المرجع السابق، ص 475.
[4] البرانس: سلسلة جبال تفصل بين إسبانيا وفرنسا.
[5] زيغريد هونكة، المرجع نفسه، ص 475 .

الحركة العلمية:

إن الحركة العلمية في بلاد الأندلس وفي أوج ازدهارها جذبت آلافاً من اليهود والمسيحيين إليها."ويذكر ابن الحجازي أن الطلبة من كل أنحاء الدنيا تَدَفَّقوا على بلاد الأندلس، وعلى قرطبة بالذات ليتعلموا فيها، خاصة أيام حكم الأمويين بين القرنين (الثاني والسادس الهجري/ الثامن والحادي عشر الميلاديين).

ولا شك أن الحركة العلمية في الأندلس اعتمدت بادئ ذي بدء على علوم الإغريق ومجهودات علماء بغداد والمشرق الإسلامي. ولكن ذلك لم يدم طويلاً، فلم تلبث الأندلس أن استقلت فكرياً. ولمعت في سمائها أسماء عريضة لعلماء فطاحل أمثال الفيلسوف الكبير ابن رشد وابن زهر وابن طفيل الذي ترجمت كتبه إلى عدد كبير من اللغات الأوروبية وابن ماجة وابن البيطار وابن فرناس وابن الخطيب والفيلسوف العالمي ابن خلدون مؤسس علم الاجتماع والعالم الصوفي ابن عربي وابن سبعين وغيرهم من الأعلام.

وكان للحَكَم الثاني أكبر الفضل في بدء تلك الحركة العلمية، فقد اهتم اهتماماً كبيراً بتثقيف شعبه. وإذا كان أبوه عبد الرحمن قد اهتم بالسياسة والاقتصاد فقد جعل الحَكَم كل هدفه السير بالأندلس قدماً في طريق العلم والمعرفة، لِيَتَبَوَّأ أعلى مكانة بين الأمم المتحضرة. ولا تعني أن أسلاف الحَكَم لم يهتموا بالحركة العلمية، لقد كانوا هم الذين جعلوا من كل مسجد مدرسة وأنشأوا في كل حيّ داراً للكتب وزودوها بمئات الألوف من الكتب التي جعلوها في متناول الجميع. ولكننا نعني أن الحَكَم قد بلغ الذروة بما قدمه للعلم والعلماء، لقد أنشأ على سبيل المثال سبعاً وعشرين مدرسة جديدة يتعلم فيها أبناء الفقراء مجاناً ودفع من ماله الخاص أجور معلميها. كما ساهم بنفسه في كل نواحي النشاط العلمي

والأدبي في قرطبة. واستغلّ الثروات الضخمة التي تركها له أبوه في الإنفاق على الأبحاث العلمية وشراء الكتب. وانتشر رجاله في كل مراكز الثقافة الإسلامية يبحثون عن النادر من الكتب والمخطوطات ويدفعون أغلى الأثمان بغية الحصول عليها، بل وكانوا يصادقون تجار الكتب في كل مكان ليدلوهم على ما صدر منها وما هو بسبيله إلى الصدور. وكان يحدث كثيراً أن يشتروا الكتب من مؤلفيها... قبل أن ترى النور في البصرة أو الموصل. فقد كان الحكم يجد متعة كبيرة في أن يكون أول قارئ لما يصدر من الأبحاث الجديدة" [1].

وفي مقارنة سريعة بين ما وصلت إليه الحضارة في الأندلس وبين حاضر أوروبة آنذاك يظهر أن "رجال الطبقة العليا والإقطاعيون في أوروبة يفخرون بجهلهم، ويوم كانت أوروبة تزخر بالجهل، كانت الأندلس تزخر بالعلم والنور وبالمكتبات والجامعات. ويوم كانت قرطبة تزهو بشوارعها الممتدة أميالاً عديدة مبلطة ومضاءة بالمصابيح العامة لم يكن في لندن مصباح عمومي واحد، حتى بعد هذا التاريخ بسبعة قرون. ولم يكن يستطيع أحد من سكان باريس بعد هذا التاريخ بقرون أن يتخطّى عتبة بيته في يوم مطير حيث سيغوص في الوحل. ويوم كانت جامعة أكسفورد في إنكلترا تعتبر الاستحمام عادة وثنية كانت قرطبة قد مرّ عليها زمن طويل متمتعة بالحمامات الرشيقة. ويوم كانت أوروبة تعتبر المرض قدر الله وقضاءه فلا يجب أن يقاوم كان المسلمون يتمتعون حتى بالمستشفيات المتنقلة، والأجنحة لكل مرض في مستشفيات ذات إمكانيات عالية وعناية رفيعة.

فكانت الإمامة للأندلس في العلم والنور ومنها ابتدأ مشعل التقدم الإنساني الذي لا يقوم على الحقد لأي جنس أو أي دين. ومن هذا المنهل

---

[1] زيغريد هونكة، المرجع السابق، ص 500 - 501.

ارتـــوت حضـــارات العالم وأوروبة، ونقلت إلى لغاتها الكتب الإسلامية لمختلف العلوم التي دُرِّست في الجامعات الأوروبية قروناً طويلة"[1].

وذكـــرت زيغريد هونكة غيضاً من فيض حول ما حوته الحضارة الإســـلامية فقالت:" إن أرقام العرب وآلاتهم التي بلغوا بها حداً قريباً من الكمـــال، وحســـابهم وجبرهم وعلمهم في المثلثات الدائرية، وبصرياتهم الدقيقة، كل ذلك أفضال عربية[2] على الغرب ارتقت بأوروبة إلى مكانة، مَكَّنـــتها عن طريق اختراعاتها واكتشافاتها الخاصة من أن تتزعم العالم في ميادين العلوم الطبيعية منذ ذلك التاريخ حتى أيامنا هذه"[3].

إقبال الغربيين على حضارة المسلمين :

أقبل الغربيون على دراسة حضارة المسلمين للإفادة من علومها بعد أن تمـــرد الشـــباب وطـــلاب العلم على الكنيسة المتمثلة بسطوة رجالها والإرهاب الفكري الذي فرضته على الناس لفترة طويلة[4]، في عصر بلغت الـــترجمة فيه القمة في مدينة طليطلة مثلاً من بلاد الأندلس زمن ألفونسو الســـادس عام (478هـــ./1085م.)، وكان من أشهر المترجمين "يوهانس حـــنا لنـــزيس" و"جند بالقوس" اللذين برعا بنقل التراث العربي إلى اللغة الإســـبانية[5]، كما نقل الكثير غيرهما العديد من كتب التراث العربية إلى اللاتينية.

---

[1] د. عبد الرحمن علي الحجي، المرجع السابق، ص69 – 70.

[2] عربية: أي إسلامية.

[3] زيغريد هونكة، المرجع السابق، ص 163.

[4] د. عبد الفتاح مقلد الغنيمي، المرجع السابق، ص 42 – لمزيد من التفصيل عن عصر الظلام والجهل والحرمان الذي كانت أوروبة ترزح تحته انظر د. عبد الرحمن علي الحجي، المرجع السابق، ص 28 – 29.

[5] لمزيد من التفصيل انظر د. عبد الفتاح مقلد الغنيمي، المرجع نفسه، ص 42.

وانتشر التراث الإسلامي في أوروبة بسرعة كبيرة حتى بعد سقوط آخر معقل من المعاقل الإسلامية في غرناطة سنة (898هـ./ 1492م.). وما كـاد القرن (الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي) أن ينتهي حتى كانـت الأجـزاء الخمسة الأولى من كتاب الهندسة لإقليدس قد قررت ضمن المناهج الدراسية في كثير من الجامعات الأوروبية[1].

كمـا ترجم جيرار الأوروبي المولد النسخة العربية لكتاب المجسطي وكل كتب الخازن والفارابي وترجم كتاب الجبر للخوارزمي[2]، ويكمن سر نجاح هذه الترجمات في إتقان هؤلاء المترجمين للعربية واللاتينية معاً.

وكانـت الطريقة المستخدمة للترجمة في القرون الوسطى، أن يضع الموظفـون المختصون "الكلمات اللاتينية فوق الكلمات العربية التي في الأصـل. ثم تراجع اللاتينية على يدي كبير الموظفين، وتحمل الترجمة بعد انتهائها اسم من راجعها"[3].

مدرسة ألفونسو للترجمة في الأندلس في مدينة مُرسِيه:

بالإضـافة إلى طليطلة كانت هناك مدرسة للترجمة في مدينة مرسيه عُرِفَتْ بمدرسة ألفونسو ويمكن تقسيم حركة الترجمة فيها إلى فترتين:

- الفـترة الأولى: إبتدأت في سنة (654هـ./ 1256م.) واستمرت أربـع سنوات ترجمت خلالها كتب علمية وأدبية. وكان نظام العمل في هـذه المدرسـة يشبه نظام العمل في المرحلة الأولى من حركة الترجمة، فاشترك عربي أو يهودي مع راهب مسيحي في عمل الترجمة. وقام بعض مترجمي المدرسة العربية اللاتينية بالعمل في المدرسة العربية الإسبانية، مثال

[1] د. عبد الفتاح مقلد الغنيمي، المرجع السابق، ص 42.
[2] د. عبد الفتاح مقلد الغنيمي، المرجع نفسه، ص 43.
[3] د. هشام أبو رميلة، المرجع السابق، ص 668.

ذلـــك ألفـــارو الأوبيدي Alvaro de Oviedo ويهودا بن موسى وهرمان الألماني وغيرهم[1].

– الفترة الثانية : ابتدأت في سنة (658هـــ./ 1260م.)، بعد أن فرغ ألفونســـو العاشـــر من أعماله الحربية، وبدأ ينصرف إلى الأعمال الثقافية والعلمية[2] مما دفع بزخم جديد لحركة الترجمة. فأعيد في هذه الفترة ترجمة ما لم تحز ترجمته القبول في الفترة الأولى، وصيغ في لغة أحسن من الأولى، وأضيف إليه ما كان ينقصه حتى ظهر كاملاً، وتمّ خلال هذه الفترة أيضاً وضـــع الجـــداول الفلكية وكتاب الأحجار والشطرنج[3] والتاريخ العام بالاعتماد على مصادر عربية[4].

هـــذا، ويقول أرنولد شتيجر: " كان ألفونسو العاشر معجباً أشد الإعجاب بالثقافة والحضارة الإسلامية، التي قُـــدر له أن يشاهدها عندما

---

[1] د. هشام أبو رميلة، المرجع السابق، ص 670.

[2] أمـــر ألفونســـو العاشر في السنة الثالثة من اعتلائه عرش قشتالة سنة (653هـــ./1255م.)، بإنشاء حلقة للدراسات العربية اللاتينية – د. هشام أبو رميلة، المرجع نفسه، ص 671.

[3] عرفـــت أوروبة الشطرنج لأول مرة في الأندلس . وفي كتاب ألفونس العاشر "وصف لعبة يُكتب لأول مرة بلغة أوروبية. ولا شك في أن كلامه عن هذه اللعبة وعن لعبة النرد مأخوذ من مصادر إسلامية.

أمـــا الشـــطرنج فاختراع هندي في أصله، اخترعه الهنود، وأهداه ملكهم إلى كسرى أنو شـــروان، وأوجب ملكهم على نفسه أن يلتزم الضريبة عن بلاده لملك الفرس كل سنة إذا استطاع كسرى ومن عنده أن يفكوا رموز هذه اللعبة، وأن يحل نفسه من هذا الالتزام إذا عجـــزوا. ورأى كسرى أنه أمام هدية خطيرة ليست كسائر الهدايا فعهد بهما إلى حكيمه المشـــهور "بزرجمهـــر" (برزكَ مهر) الذي أخذ يتأملها، ويدرسها، ويدقق النظر فيها حتى فهمها، وعرف سرها الذي بنيت عليه. وفطن إلى أن تلك القطع والحجارة تصور الجيوش في الحروب. وقال: إن هذه اللعبة إنما وضعت لحرب، وجُعل الأكبر منها الملك، والذي يليه الوزير، ثم كبار القواد وغيرهم من المحاربين حسب درجاتهم في نظام الجيش. ولما علم ملك الهند أن الإيرانيين فطنوا إلى سرّ اللعبة التزم بالضريبة يؤديها كل عام.

[4] د. هشام أبو رميلة، المرجع نفسه، ص 671.

أتاحت له الظروف أن يزور الأندلس في صباه، فعمل على استدعاء العلماء المسلمين واليهود، وأسس المدارس والمعاهد، وقام بترجمة كثير من المؤلفات التاريخية والرياضية وغيرها إلى اللغة الرومانية. ويمكن اعتباره رمز الثقافة الإسبانية في العصور الوسطى"[1].

وكانت مدينة مرسية Murcia تنافس مدينة طليطلة في الأثر الثقافي الذي خلفه المسلمون المدجّنون. وفي ذلك يقول أحمد لطفي عبد البديع: "إذا كانت هناك مدينة من مدن إسبانيا تنافس طليطلة في الأثر الثقافي الذي خلفه المدجّنون فهي مدينة مرسية. فقد أذكى فيها ألفونسو الحكيم قبل توليه العرش وبعده الحركة الثقافية، وجمع حوله طائفة من علماء المسلمين والمسيحيين واليهود ليترجموا الكتب العربية إلى الإسبانية، أو ينقلوا عنها، كما ظهر ذلك في المدونة العامة لتاريخ إسبانيا وهي مفاخر ألفونسو الحكيم"[2].

أفضل المترجمين في الأندلس:

لعل من أفضل المترجمين الذين نقلوا التراث الإسلامي من العربية إلى اللاتينية جيرار دو كريموني، فقد نقل إلى اللغة اللاتينية واحداً وسبعين عملاً من اللغة العربية. ويرجع ذلك إلى كثرة ما عثر عليه في مدينة طليطلة من المؤلفات الإسلامية، كما يرجع إلى بقاء كثير من العلماء في طليطلة ممن يتقنون التحدث باللغتين العربية والإسبانية، سواء كانوا من المسلمين أو المعاهدين أو اليهود. وقد استمرت حركة الترجمة في طليطلة تسير قُدماً إلى الأمام بفضل جهود الأسقف رايموند وتشجيعه، لذلك بقيت طليطلة المركز الرئيس لحركة الترجمة في الأندلس، رغم وجود مراكز أخرى للترجمة في مدن الأندلس الأخرى مثل برشلونة وشقوبية

---

[1] د. هشام أبو رميلة، المرجع السابق، ص 671.

[2] لمزيد من التفصيل انظر د. هشام أبو رميلة، المرجع نفسه، ص 670 – 671 وما بعدها .

وبنــبلونة، وفي مدن أخرى تقع خلف جبال البرينه في فرنسا مثل تولوز Toulouse ونربونة Narbonne [1].

ويذكــر أرتز أن جيرار دو كريموني "ترجم اثنين وتسعين عملاً من أعمــال عــلماء الــيونان والمسلمين عن اللغة العربية مباشرة. ومن أهم المــترجمين أيضــاً: روبرت تشستر الإنكليزي Rorbert de Chester الذي تــرجم القــرآن في سنة (555هــ./ 1160م.)، وكذلك إديلارد الباثي، وكان من أهم المترجمين في صقلية وإسبانيا، الأندلس، وعمل بالترجمة من اللغة العربية إلى اللاتينية. أما مايجل سكوت[2] فإنه لم يكتف بالترجمة من اللغة العربية، بل كان أيضاً يعمل تحليلاً وتلخيصاً للأعمال التي يترجمها، كما سار بعض الباحثين والمترجمين النصارى إلى مدينة قرطبة وغيرها من المــدن الإســلامية، وتحمّلــوا المتاعب وعرّضوا حياتهم للخطر في سبيل الحصــول عــلى بعض الكتب العربية وجمع المؤلفات العلمية. ثم تعاون الباحثون النصارى واليهود معاً، ونقلوا كثيراً من المؤلفات، فكان من بينها بعــض المؤلفــات اليونانية، التي لا تخلو من تعليق أو شرح بقلم العلماء العرب"[3].

وقــد اشــتغل بالترجمة من العربية إلى اللاتينية العديد من المترجمين ومنهم:

---

(1) د. هشام أبو رميلة، المرجع السابق، ص 669.

(2) يقــال له أيضاً في الكتابــات العربية ميخائيل سكوت، أو ميشال سكوت الذي جلب من طليطلة كتاب "الهيئة" للبطروجي وكتابي أرسطو "في السماء" و"العالم" وعليهما شروح ابن رشد. وناهزت أعماله وترجماته العشرين ومعظمها مؤلفات "لابن رشد"، وهو الذي أدخل أفكار الفيلسوف المسلم العلمية والفلسفية إلى أوروبة- مالك القعقور، أي مساهمة للعرب في علم الفلك ونظريات العلوم الحديثة، الحياة، ص 21، 24/ 8/ 1995، مقالة عن كتاب " نحن والعالم"، للكاتب سالم يفوت.

(3) د. هشام أبو رميلة، المرجع نفسه، ص 669.

- أوجودي سانتيلا: وكان مختصاً بالنجوم والكيمياء.
- روبرت أوف تشتر.
- هومان دالماتا : من كبار المترجمين.
- دانيل دي مورلي: ترجم العديد من الكتب.
- أفلاطـــون دي تـــيفولي: ترجم كتباً إلى الإيطالية، وقد عاش في برشـــلونة. وهو الذي ترجم كتاب البتاني في علم الفلك، وترجم النص العربي لكتاب بطليموس، كما ترجم كتاب الجبر لإبراهيم برحيا[1].

تجدد حركة الترجمة:

اســـتمرت حركة الترجمة ونشطت من جديد في القرن الرابع عشر الهجـــري/ القرن العشرين الميلادي وبرع من هؤلاء المترجمين على سبيل المثال لا الحصر أيضاً :

- ف. برونر: ترجم طب العيون للرازي، رسالة دكتوراه، برلين سنة (1318هـــ./ 1900م.).
- جرتشيشـــف: طـــب العيون عند علي بن عباس، مع ترجمة إلى الألمانية، رسالة دكتوراه، برلين سنة (1318هـــ./1900م.).
- مارســـلان برتيلو: (ت.1325هـــ./1907م.)، قام بترجمة كتب جابر بن حيان من اللاتينية إلى الفرنسية، وأثبت أن جابر بن حيان يُعرف من الكتب اللاتينية أكثر من الكتب العربية، ويظهر أن ذلك كان لضياع كثير من كتبه.
- يوليوس روسكا: ترجم لأبي بكر الرازي كتاب "سر الأسرار" ومقالات أخرى[2].

---

[1] د. توفيق يوسف الواعي، المرجع السابق، ص 456.

[2] د. توفيق يوسف الواعي، المرجع نفسه، ص 459.

- رلبر برج : كتاب النبت لأبي حنيفة الدينوري- رسالة دكتوراه في جامعة برسلاو سنة (1326هـ./1908م.).

- سوتر:ترجم سنة (1328 هـ./ 1910م) استخراج الأوتار في الدائرة بخصوص الخط المنحني عند البيروني.

- ي. ل. هيبرج: ترجم إلى الألمانية كتاب "المرايا المحرقة بالقطوع" لابن الهيثم سنة (1328هـ./1910م.).

- يوليوس روسكا: ترجم ونشر كتاب "أزهار الأفكار في جواهر الأحجار" للتيفاشي سنة (1330هـ./1912م.) وترجم كتاب "الكيميائيون العرب"، للألمانية سنة (1343هـ./1924م.)، كما ترجم كتب جابر بن حيان ونظر فيها[1].

- باول كراوس: نشر فهرست كتب محمد بن زكريا الرازي عن مخطوط في ليدن رقم 133 ترجمه إلى الألمانية سنة (1342هـ./1923م.).

- ليفين: نشر كتاب الدينوري عن النبات في السويد سنة (1373 هـ./1953م.) [2].

انتشار العربية:

بعد أن تم عرض بعض أعمال الترجمة لا بد من وقفة حول اللغة التي دُوِّنَ بها هذا التراث الزاخر في كافة أنواع العلوم في الأندلس وغيرها من البلاد المفتوحة ولكن ما يهمنا هنا هو انتشار اللغة العربية في الأندلس بعد سقوط غرناطة، هذه اللغة التي هي لغة التراث الذي ولى مع الأجداد.

فالعربية في الأندلس كانت منتشرة كونها لغة القرآن والحضارة، وقد انتشرت لدرجة أن أُهملت اللغات الأوروبية الأخرى من اللاتينية

---

[1] د. توفيق يوسف الواعي، المرجع السابق، ص 459- 460.

[2] د. توفيق يوسف الواعي، المرجع نفسه، ص 460.

واليونانية التي كانت منتشرة آنذاك، حتى أن الأساقفة ورجال الدين كانوا يكتـــبون بالعربية على حساب لغاهم الأصلية، وقد عَبَّرَ عن تلك الفترة الفـــارو أسقف قرطبة حيث قال: "كثيرون من أبناء ديني يقرؤون أشعار العرب وأساطيرهـم، ويدرسون ما كتبه علماء الدين وفلاسفة المسلمين، لا ليخرجوا عن دينهم وإنما ليتعلموا كيف يكتبون اللغة العربية مستخدمين الأســـاليب البلاغية. أين نجد اليوم مسيحياً عادياً يقرأ النصوص المقدسة باللغة اللاتينية؟ من منكم يدرس اليوم الكتاب المقدس أو ما قاله الرسل؟ إن كل الشباب النابه منصرف الآن إلى تعلم اللغة والأدب العربيين، فهم يقرؤون ويدرسون بحماسة بالغة الكتب العربية ويدفعون أموالهم في اقتناء المكتـــبات ويـــتحدثون في كل مكان بأن الأدب العربي جدير بالدراسة والاهـــتمام. وإذا حدثهم أحد عن الكتب المسيحية أجابوه بلا اكتراث: "بـــأن هـــذه الكتـــب تافهة لا تستحق اهتمامهم". يا للهول، لقد نسي المســـيحيون حـــتى لغتهم ولن تجد بين الألف منهم واحداً يستطيع كتابة خطاب باللغة اللاتينية. بينما تجد بينهم عدداً كبيراً لا يحصى يتكلم العربية بطلاقة ويقرض الشعر أحسن من العرب أنفسهم" [1].

ولمـــا طغت اللغة العربية في بلاد الأندلس على سائر اللغات المحلية، وكثر دخول المسيحيين في الإسلام وازداد الإقبال على الثقافة الإسلامية، هـــال الأمـــر رجـــال الديـــن، فنشطوا إلى دراسة اللغة العربية والتراث الإســـلامي ليتبينوا من ذلك سبب صرف المسيحيين عن لغتهم وثقافتهم، وكـــان الغـــرض من ذلك إجادة اللغة العربية ودراسة التراث الإسلامي مهاجمة للإسلام، والرد عليه، وتحويل الأنظار عنه.

---

[1] زيغـــريد هونكـــة، المرجع السابق، ص 529- وانظر عباس محمود العقاد، أثر العرب في الحضارة الأوروبية، ص 69 – 70، دار المعارف، ط4، القاهرة- مصر، 1965م..

وأول مدرسة أقيمت في أوروبة للدراسات الشرقية مدرسة طليطلة[1]. وقد تولت إنشاءها والإشراف عليها طائفة من الوعاظ. وكان الغرض من الدراسة في هذه المدرسة تخريج عدد من المسيحيين ثقفوا ثقافة عربية إسلامية ليقوموا بالتبشير بين المسلمين.

ومن أشهر أساتذة هذه المدرسة المستشرقان الإسبانيان ريموند ندلل، وريموند مارتن ويعتبر كلاهما حجة في اللغة العربية والدراسات الشرقية[2].

وعندما فكر الفرنسيون في إنشاء جامعة لهم في مونبلييه. نظروا إلى سائر أوروبة ليستعينوا بعلماء يسهمون في هذه الجامعة من الناحية العلمية والأكاديمية. فلم يجدوا أفضل من الأندلس ورجالها[3] فاتصلوا بهم وعرضوا

---

[1] كان من روادها البارزين عدد من الإنكليز أمثال أديلارد أوف بات ودانيال أوف مورلي وروجر أوف هيرفورد واسكندر نكوام – عباس محمود العقاد، المرجع السابق، ص 46.

[2] د. طه ندا، المرجع السابق، ص 211- وأضاف د. طه ندا، ص 211- 212 قائلاً: "واصل الرهبان بعد ذلك العمل في ميدان الدراسات الشرقية والإسلامية (أوائل القرن الثالث عشر الهجري/ أواخر القرن الثامن عشر الميلادي) حين أنشأت فرنسا مدرسة للغات الشرقية في سنة (1210هـ./1795م.). وبعد أن كانت دراسة التراث الإسلامي في أول الأمر عملاً ثقافياً خالصاً أصبحت بعد ذلك عملاً دينياً يريد به الأوروبيون مهاجمة الإسلام، وتشكيك المسلمين في دينهم وعقائدهم.

ثم جاءت بعد ذلك المرحلة الأخيرة حين أصبح الغرض من هذه الدراسات سياسياً، إذ اتخذت منها الدول الغربية الكبرى سبيلاً لفهم الشرق واستغلاله في تحقيق أطماعها السياسية والاقتصادية.

ومن أقدم الجمعيات التي أنشأها الأوروبيون لهذا الغرض الجمعية الآسيوية في باريس عام (1236هـ./1820م.) برئاسة سلفستر دي ساسي، ثم حذا الإنكليز حذو فرنسا وتبعهما بعد ذلك أكثر دول أوروبة. وظهر من المستشرقين عدد كبير من أمثال فرايتاغ، وفلوجل، ونولدكه، وبروكلمان من الألمان، وبالمر ومارجليوث، وروس، وكارليل، وبراون من الإنكليز، وجويدي من الإيطاليين، ودي جوية من الهولنديين".

[3] لمزيد من التفصيل انظر نص الكلمة التي ألقاها البروفسور "دلماس" عميد كلية الطب في جامعة مونبلييه في محاضرة ألقاها في قاعة البلدية عن إنشاء الجامعة- د. عبد الفتاح مقلد الغنيمي، المرجع السابق، ص 44.

لهـــم مشكلتهم فلبت الأندلس النداء وأرسلت إلى مونبلييه ثلاثة من كبار الأساتذة المسلمين المشهورين في الطب[1] والعلوم والفلسفة[2].

وقام هؤلاء بتنظيم العمل في الجامعة لا سيما كلية الطب مع العلماء الفرنسيين وساهموا في محاضرات ألقوها في الجامعة طيلة ثلاث سنوات.

وفي جـــنوبي أيطالـــيا وفي مدينة جنوه تحديداً قامت مدرسة لتعليم وتدريس اللغة العربية لغة الحضارة العالميـــة حينها، وكـــان ذلك عـــام (604هــ./1207م.)[3].

وفي رومـــا أول مـــن أسس تعليم العربية في هذه المدينة في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، الفاسي المعروف بليون الأفريقي، كما أن ألبرات دونش اليهودي الفاسي (349هـــ./ 960م.) أول من دعا إلى وجوب العناية باللغة العربية والاستعانة بها في فهم "العهد القديم"، وقد أخضـــع يهود المغرب النحو العبري لكتاب سيبويه وقام داود بن أبراهام الفاسي بوضع قاموس اسمه (أجرون) انطلاقاً من معاجم اللغة العربية"[4].

كمـــا أسست في إيطاليا أيضاً مدرسة علمية للطب[5]. وليس أدل عـــلى لغـــة الحضـــارة مـــن بقاء العديد من الكلمات العربية في اللغات الأوروبية.

---

[1] درست كتب العلماء المسلمين في الغرب الأوروبي طيلة عدة قرون. وعلى سبيل المثال ترجم كتاب "القانون" في الطب لابن سينا في القرن (السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي)، كما تـــرجم كـــتاب "الحاوي" للرازي وهو أوسع من القانون وأضخم في (نهاية القرن السابع الهجـــري/نهاية القرن الثالث عشر الميلادي)، وظل هذان الكتابان عمدة لتدريس الطب في الجامعات الأوروبية حتى القرن (العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي).

أمـــا كتب الفلسفة فقد استمرت أكثر من ذلك، و لم يعرف الغرب فلسفة اليونان إلا عن طريق المؤلفات والترجمات العربية – د. مصطفى السباعي، المرجع السابق، ص40.

[2] د. عبد الرحمن علي الحجي، المرجع السابق، ص 50.

[3] د. عبد الفتاح مقلد الغنيمي، المرجع السابق، ص 48.

[4] عـــبد العزيز بن عبد الله، الفكر العلمي ومنهجية البحث عند علماء المغرب، مجلة الدارة، السنة 5، العدد 3، ص 75، الرياض- السعودية، ربيع ثان 1400هـــ./ مارس 1980م..

[5] د. عبد الفتاح مقلد الغنيمي، المرجع نفسه، ص 50.

أثر اللغة العربية في اللغات الأوروبية:

"حينما يستعير شعب من شعب أداة أو فكرة أو مدركاً فلسفياً فإنه يستعير مع الأداة اسمها أيضاً. نحن العرب لما أخذنا الأداة المسماة بالفرنجية تلفون أخذنا اسمها الأجنبي معها. ولقد سمينا هذه الآلة فيما بعد، الهاتف. ولكن كلمة تلفون لا تزال غالبة. وبعد الحرب العالمية الأولى جاءت السيّارة إلى بلادنا فكان كل إنسان يقول:"أتوموبيل"، ثم اختفت كلمة أوتوموبيل وسادت كلمة "السيارة". وكذلك فعل الأوروبيون لما أخذوا المدارك العلمية والأدوات المختلفة من العرب فإنهم نقلوها بأسمائها العربية. أخذوا من العرب مثلاً قيادة السفن، وكان قائد العمارة البحرية يسمى "أمير الماء" فاختصر الأوروبيون ذلك قليلاً فقال الفرنسيون:"أميرال" وقال الإنكليز"أدميرال". ولم يعرفوا الغَوْل أو الكحول (جمع كحل) فقال الإنكليز:"ألقوهول"، وقال الفرنسيون: "القوول". ولم يعرفوا المشمش وهو يسمى في مصر البرقوق فأخذوه مع اسمه فقال الإنكليز القدماء: أبرقوق (بباء فارسية) ثم خففوها فقالوا أبْرِقُت (بضم القاف) وقال الإفرنسيون أبْرِقو"[1].

أما كلمة سكر مثلاً فقد أخذها العرب عن الفرس "واسمه الفارسي شكر. ولكن الأوروبيين لم يأخذوا السكر من الفرس بل من العرب فكان اسمه في الفرنسية سُوكْر وفي الإنكليزية شوكَر وفي الألمانية تْسوكّر، وفي الإسبانية آثوكّر وفي البرتغالية أسْسوكر وفي الروسية ساخر وفي البولونية سوكيار وفي الدنمركية سوكّر وفي الهولندية سُوِيْكر"[2].

---

[1] د. عمر فروخ، المرجع السابق، ص 17.

[2] د. عمر فروخ، المرجع نفسه، ص 17.

و"صوفا" هي من اللغة العربية (الصُفّة). وأول ما ورد لفظ "الصِّفَّة" من مسجد الرسول ﷺ في المدينة المنورة: وهي عبارة عن مقعد مستطيل مرتفع (ارتفاعه حوالي نصف متر) يجلس عليه عدد من الناس.

ثم هنالك كلمة "ديفان" وهي (ديوان بالعربية — من أصل فارسي) والأوروبيون قد تناولوا هذه الكلمة من العرب، علماً بأن العرب يطلقون هذه الكلمة على عدة أشياء منها: المقعد المستطيل المرتفع، وعلى الدائرة الحكومية، وعلى كتاب الأشعار[1].

هذا، وقد دخلت اللغة الإسبانية مفردات كثيرة عربية حرّف بعضها، وبقي البعض الأخر على حاله، والملفت للنظر أهم كثيراً ما ظَنّوا أن أداة التعريف هي من أصل الكلمة فأدخلوها في كلماهم فمثلاً هناك كلمة الأرُزّ elarroz، وكلمة القبة alcoba، وكلمة القطن algodon، والديوان (الجمرك) aduana، والقاضي alcalde، والمخزن almacen...إلخ.

وهناك مجموعة من الألفاظ الفارسية تسربت هي الأخرى إلى اللغات الأوروبية ككلمة بازار Bazar (أي سوق)، وكلمة ياسمين Jasmin، وبيجامة Pyjama، كاروان Caravan، بخشيش Bakhshish أي عطاء وهبة، وكلمة كُشْك Kiosk التي تعني الدكان، ونارنك[2] Orange وبالإسبانية، وشك Cheque وهو السند المصرفي[3].

"ويذكر ترند في مقالته بتراث الإسلام عن إسبانيا والبرتغال أن العلماء المختصين قد أبدوا عدداً من الملاحظات الجديدة بالنظر والتأمل، فقد لاحظوا أن أسماء الأمكنة، والأعلام الجغرافية، والألفاظ المستخدمة

---

[1] د. عمر فروخ، المرجع السابق، ص 19.

[2] النارنك: ربما كانت النارنج وهي التي تعني الليمون عند البعض.

[3] د. طه ندا، المرجع السابق، ص 212- 213.

في الري والزراعة يرجع الكثير منها إلى أصل عربي. وهذا يدل على تغلغل الحضارة العربية إلى جميع مجالات الحياة. ويورد الأمثلة الآتية:

فكلمة جبل العربية تسبق أسماء الجبال مثل جبلكوز Monte jabelcuz، وجبلكون Jabalcon، وهناك جبال جبرالبين Gibralbin، وجبراليون Gibraleon، وجبرالتار (جبل طارق).

وتظهر كلمة الكورة alcora، alcor في كثير من أسماء القرى. وهي بالعربية الكورة بمعنى المحلة أو القرية.

ومما يتصل بالأعلام الجغرافية كلمة "واد" التي تكتب في الإسبانية guad. ومن أمثلة ذلك (الوادي الكبير Guadalquivir، وادي الحجارة Guadalajara، وادي القصر Guadalcazar، وادي القطن Guadalcoton.

واحتفظت المسطحات المائية عندهم بأسمائها العربية؛ فالبحيرة عندهم albuera – albuhera، والبركة تسمى alberca.

وانتشرت في ألفاظهم لفظة مدينة العربية فهناك مثلاً Medina de pomar,medina del campo .

واحتلت لفظة المسجد مكانها في اللغة الإسبانية، وأصبحت Mesquita .

وكثرت الأعلام الجغرافية التي قامت على لفظة القلعة Alcala مثل Calatayud أي قلعة أيوب، Calatanzor أي قلعة الناصر، Calatrava أي قلعة رباح.

وكذلك انتشرت لفظة القصر Alcazar.

هذه الألفاظ الكثيرة التي لا تزال باقية في اللغة الإسبانية إلى اليوم تشهد على تأثير اللغة العربية والحضارة الإسلامية في إسبانيا وفي أوروبة،

لأن العواصم الإسلامية في إسبانيا كانت مركز الإشعاع الذي يجذب إليه طلاب العلوم والآداب والفنون من أنحاء أوروبة. ولما سقطت إسبانيا الإسلامية كان تأثيرها الحضاري قد انتقل إلى أوروبة"[1].

كلمات عربية في لغات أوروبية في مجال الملاحة والفلك:

بقي أثر علوم المسلمين الملاحية واضحاً في أوروبة عبر تلك الكلمات التي لا تزال محفوظة في لغات الأوروبيين بما يشبه حروفها العربية مثل Tare من طرح السفينة، وFelouque من الفلك، Calfata من القلفطة[2] ، وAmiral من أمير البحر، وArsenal من دار الصناعة Risk بمعنى المغامرة في طلب المعاش من كلمة رزق، وAvala من كلمة حوالة، و Avaare من كلمة عوار، وكلمة Wissil الألمانية من كلمة وصل، و Calibre من كلمة قالب. وغير ذلك كثير ولاسيما في كلام أهل الأندلس والبرتغال[3].

وفي مجال الفلك فإن الأسماء العربية باقية بلفظها في المعجمات الفلكية الأوروبية سواء في أسماء الكواكب والنجوم أو أسماء المدارات والمصطلحات، ومن مئات هذه المفردات نذكر على سبيل المثال لا الحصر كلمة الطرف Altaref، وكرسي الجوزاء Cursa، والكف Caph، والأرنب Armab، والعرقوب Arkab، والسمت Azimuth، والبطين Botein، وزبانتي العقرب Zuben Hakrabi، والنسر الواقع Wega، والساهور Saros، والسيف Saif، وصدر الدجاجة Sadr، والزورق Zaurek، وقرن الثور Tauri، الراعي Errai، والذنبDenob ...إلخ. [4].

---

[1] د. طه ندا، المرجع السابق، ص 212– 214.

[2] القلفطة: دهن السفن بالقار (الزفت).

[3] عباس محمود العقاد، المرجع السابق، ص 59 .

[4] عباس محمود العقاد، المرجع نفسه، ص 61.

كما تناولت الكاتبة الألمانية زيغريد هونكة أثر اللغة العربية في اللغة الألمانـــية عـــبر بعض الكلمات مثل:" فندق Fondaco، ومخزن Magazin، وترســـانة أو مخزن عسكري Arsenal، وديوان Duane، وجباية Gabelle، والعــــواري بمعنى عطل في بضائع المراكب Havarie، وقابل سلك أو جبل سميك Kabel، ومخاطرة Mohantra، وRisiko بمعنى مغامرة، وScheck أي صـــك، و Sterling اســـترليني، وTara بمعنى طرحة، وTarif بمعنى تعريفة وغيرها"[1].

ويذكـــر جاك ريسلر أثر اللغة العربية في اللغة الفرنسية بقوله: "في الوقـــت الذي كانت أوروبة تستورد فيه المنتوجات الإسلامية، كانت في أغلب الأحيان تتبنى الكلمات التي تدل عليها. وهكذا دخلت في المصطلح الفرنســـي كـــلمات: سكر، شراب، شوربة، كحول، القالي، الجلاب، الإكســـير، البرتقال، الجرة، المخدة، الصوفا، الجوت، الأثير، الفن العربي Arabesque. وكـــلمات أخرى مقترضة من اللغة العلمية: الجبر، الصفر، الســـمت، الإنبـــيق، المناخ؛ أو من الموسيقى: عود، ربابة، طبلة، مزمار، طبل؛ ومصطلحات بحرية: أمير البحر، دار الصناعة، حبل Cabl، شالوب (زورق إنقـــاذ)، قارب، مركب شراعي (سلوب)؛ أو كلمات تدل على الأقمشة: موصلي، ساتان، تفتا؛ ومصطلحات تجارية: بازار، تعرفة، مخزن، ريســـك، شـــيك، دوان (جمـــرك)؛ وأخيراً كلمة، ربما تدهش، بقاؤها مضـــمون عـــلى بقاء اللغة الفرنسية،"السيد" الآتيـــة مباشرة من كلمة سيدي"[2].

هـــذا، وقد امتد أثر المصطلحات العربية حتى إلى الفنون ومنها على سبيل المثال لا الحصر في الموسيقى الهندية :

---

[1] زيغريد هونكة، المرجع السابق، ص 445.

[2] جـــاك ريسلر، الحضارة العربية، ص 191 – 192، تعريب د. خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، ط1، سلسلة عام 2000، بيروت- لبنان/ باريس- فرنسا، 1993م..

"Qanoon- قـــانون: الآلة الموسيقية المعروفة، إلا أنه في الهند يشبه الطنبورة ذو شكل منبسط ويشبه الرَّباب أيضاً.

- Qawal قـــوالي: قول، غناء، نوع من المباراة الموسيقية ذو مقاطع شعرية، تصاحبه تصفيقات إيقاعية"[1].

- "Rababi ربـــابي: عـــازف الربابة، الشخص الذي يعزف على الربابة مصاحباً للأغنية، وهي من تقاليد السيخ.

- Soofiyana Kalam صوفيانا كلام: كلام الصوفية، غناء المتصوفة، وهي موسيقى تعبدية تقليدية منتشرة في إقليم كشمير.

- Tabla طبلة: هي الطبل ذو القطعتين المعروف في شمالي الهند.

- Tambura طمبورة أو طنبورة: آلة موسيقية مدندنة، ذات أربعة أوتار تعزف القرار ونعمته الجوابية والنغمة المؤكدة"[2].

- "Tarab طرب: الأوتار الرنانة في الآلات الموسيقية.

- Ustad أوســـتاد: وهي نفسها كلمة أستاذ العربية وتدل هنا على الموسيقي المتمكن أو أستاذ في الموسيقى"[3].

حول التعليم والمكانة العلمية:

كان التعليم في الأندلس شاملاً لكل ألوان العلوم ولكافة المستويات ذكـــوراً وإناثاً، ولم تحرم حتى القرى من نصيبها في التعليم. وكان للعلم والعـــلماء المكانـــة العالـــية، وإليهـــم كان يسعى الحكام والمسئولون لا العكس[4].

---

[1] لمـــزيد من التفصيل انظر لطفي خوري، ألفاظ عربية في المصطلحات الموسيقية الهندية، مجلة التراث الشعبي، السنة 10، العدد 18، ص 126-127، بغداد- العراق، 1979م..

[2] لطفي خوري، المرجع السابق، ص 127.

[3] لطفي خوري، المرجع نفسه، ص 128.

[4] د. عبد الرحمن علي الحجي، المرجع السابق، ص 50.

ولقـــد تمتعت المرأة المسلمة بمكانة عالية فقد خرجت نساء الأندلس بنشاطهن إلى الحياة العامة، سواء في ذلك سيدات المجتمع الراقي أو بنات الطبقات الفقيرة والجاريات. فكان منهن الشاعرات والباحثات في العلوم، وتَلَقّـــين العلم تماماً كالرجال. وسجل لهن تاريخ الأندلس صفحات من المجد فكانت هند تقرض الشعر وتعزف على العود وتغني بصوت شجي. وسائر القوم يتغنون بأشعار حفصة وقصة حبها للشاعر أبي جعفر.

ويحكـــي أعرابي عن الشاعرة ولادة فيقـــول: "لقد كـــانت سيدة نســـاء عصرها. فسلوكهـــا واحتقارها للحجاب برهنا على شخصيتها القوية[1]. وكان ذلك وسيلة برهنت بها على طيب عنصرها وأظهرت بها جمـــال وجهها وأخلاقها. وكان منـــزلها في قرطبة ملتقى عليّة القوم في العاصمة، وكان صالونها حلبة سباق يتبارى فيها الأدباء والشعراء. واتجه العـــلماء بأنظارهم إلى منـــزلها كما يهتدي السائر ليلاً بالنجوم. وتسابق كبار الأدباء والشعراء على تلمس رضاها"[2].

فـــإذا كـــان هذا حال الشعر والشاعرات فإن الأمر ليس كله على المـــنوال نفسه عند الجميع. بل تميز العلماء بالرصانة والوقار، وكانت لهم أسمـــاء لامعـــة في ميدان العلم والعلماء، كابن عبد ربه، وابن حزم الذي يعتبر، إضافة إلى ذلك، من خير وأوائل من اعتنى بدراسة الأديان والمقارنة بينها فهو مؤسس الدراسات المقارنة. وهذا ابن زيدون وحَمْدة (حمدونة) ونـــزهون والمُعتمد وابن الخطيب وآخرون وأخريات كثيرون جداً لمعت أسمـــاؤهم في سمـــاء الأندلس ولكن ضاع إنتاجهم الفكري ولم يبق عند

---

[1] هل تكون المرأة سيدة نساء عصرها إذا ما سلكت شلوكاً مشيناً واحتقرت الحجاب مثلاً؟ أم يكون الأمر بالتعلق بالفضيلة التي تمثل مثالاً يحتذى به؟!

[2] زيغريد هونكة، المرجع السابق، ص 522.

البعض إلا أسماء فقط، مع أن البعض وُصف بالمكانة العالية في الأدب، غير أنه لم يصل إلينا من إنتاجهم إلا القليل[1].

الأدب العربي ودخوله في الأدب الأوروبي:

إن الأدب العربي كان له أثر ووقع في الأدب الأوروبي، وقد دخل أدب الفروسية والحماسة والمجاز والتخيلات الراقية البديعة إلى الآداب الغربية عن طريق الأدب العربي في الأندلس على الخصوص.

وفي هذا يقول الكاتب الإسباني المشهور أبانيز: "إن أوروبة لم تكن تعرف الفروسية ولا تدين بآدابها المرعية ولا نَخْوَتها الحماسية قبل وفود العرب إلى الأندلس وانتشار فرسانهم وأبطالهم في أقطار الجنوب"[2].

والشعر الأوروبي قبل اتصال الأوروبيين بالعرب كان قاصراً جداً، ولدى وصول الحضارة الإسلامية إلى أوروبة كان هناك أثر كبير لهذه الحضارة على كافة المستويات.

وفي ميدان الشعر رأى الأوروبيون عند العرب أوزاناً كثيرة ثم رَأَوْا الموشحة أيضاً، وهي مقطوعة من الشعر تمتزج فيها أوزان متعددة وقوافي متنوعة، فأحبوا هذا التوشيح وأخذوه عن العرب ونظموا عليه "الصّوَيْت"[3].

وكان مؤرخو الآداب الأوروبية قد حاروا زماناً طويلاً في مصدر هذا النوع من الشعر حتى نشأت النظرية العربية[4]. "وأجمع كبار مؤرخي

---

[1] د. عبد الرحمن علي الحجي، المرجع السابق، ص 37.

[2] د. مصطفى السباعي، المرجع السابق، ص 42.

[3] الصَّوَيْت: تصغير لكلمة صوت، أو الصوت القصير. والصوت في اللغة العربية مقطوعة قصيرة تُغنّى، واسمها في الفرنجية "سونت".

[4] د. عمر فروخ، المرجع السابق، ص 23.

الأدب والدارسين في الفرنسية والألمانية والإيطالية على أن أدبهم الجديد الذي برز في كل مكان زهرة غريبة في رياض الأدب إنما جاء من تقليد الشعر العربي. ويبدو أن الأدب الإنكليزي لم يتأثر مباشرة بالشعر العربي، بل بالشعر الإيطالي الذي كان قد تأثر بالشعر العربي.

هذا، واحتك الإفرنج بالعرب في الأندلس، ثم في المشرق في أثناء الحروب الصليبية، فعرفوا الموشح والزجل فنقلوا أوزانهما إلى آدابهم. فشعراء التروبادور[1] في جنوبي فرنسا نقلوا من الموشحات الأندلسية ومن الأزجال المشرقية والمغربية. وبذلك خرج الشعر الأوروبي عن وتيرته الأولى وأصبح شاعرهم ينظم مُقطّعات مختلفة الأبحر متعددة القوافي سُمّي بعضها سونت أو سونّة. ودخل كثير من أغراض الشعر العربي ومعانيه وألفاظه في الشعر الأجنبي"[2].

وحول تأثير الشعر العربي في اللغات اللاتينية قالت المستشرقة الألمانية زيغريد هونكة ما نصه:"سيطر هذا الطابع العربي المميز في العالم وطغى على الطابع الإغريقي واللاتيني والجرماني. وبرغم أن اللغات الجرمانية، خاصة الألمانية، يصعب استخدامها في القافية فقد اتخذت الطابع العربي طابعاً لها ونبذت الأصول الجرمانية والإغريقية حتى صارت غريبة علينا اليوم"[3].

وأضافت:"وأَثَّرَ طابع الشعر العربي على إيطالية تأثيراً أكبر ونشاهد ذلك واضحاً في أشعار فرنسيس الأسيزي Franz Von Assisi ودانتي Dantes، وفرا جاكابانا دا تودي Fra Jacapane da Todi وحتى لورنزو دي مديتشي Lorenzo de Medici، ومكيافيللي Machiavell، قد نظموا على

---

[1] التروبادور: دور الطرب.

[2] د. عمر فروخ، المرجع السابق، ص 23 .

[3] زيغريد هونكة، المرجع السابق، ص 508 .

أســـس لأوزان العربـــية. كما بقي ذلك الأثر العربي أوضح ما يكون في صـــقلية وتوســـكانا Toscana والبندقية" [1]. وكذلك تظهر صور "الحب الرقـــيق" في الأدب الفرنسي المرئية في الأدب العربي والذي بسط قواعده ابن حزم في كتابه "طوق الحمامة في الإلفة والألّاف" الذي ترجم إلى عدة لغات أوروبية.

وكذلك هناك "دور الطرب" التي حولت لتصبح كلمة "تروبادور" والتي تحمل معنى "الشعر الشعبي المغنى" والذي تفشى في أوروبة والمأخوذ بتقاليده عن الأندلس بكل ما يمثل من تذلل وخضوع للحبيب[2].

وكما كان للشعر العربي أثره في اللغات اللاتينية كذلك كان للنثر والقصـــص؛ وهـــذا المستشرق كوبلر يونج يحدثنا عن ذلك فيقول:" فإن الدَّيْن الذي تدين به أوروبة العصور الوسطى لأدب النثر العربي لا جدال فـــيه، وإن كانـــت تفاصيله لم تدرس بعد، فهناك أحداث من القصص الشرقية توجد في الأدب الشعبي لكل من ألمانيا وفرنسا وكذلك الشأن في Decamerone من أعمال "بو كاشيو"، وفي Squieves ta Les من أعمال "تشوســـر"، وقد انتشرت في جميع أنحاء أوروبة القصص العربية التهذيبية الموضـــوعة عـــلى ألسنة الحيوان والطير، كما ترجمت الصورة العربية من كـــتاب السندباد، وهو في الأصل بالسنسكريتية، إلى اللغات السريانية، واليونانية، والعبرية، والإسبانية، واللاتينية والإنكليزية[3].

وقد ظهرت قصص كليلة ودمنة العربية، وأصلها من السنسكريتية كذلك، في أثواب متعددة في مختلف أنحاء أوروبة. ويندر في الكتابة النثرية الأولى في الأدب الإسباني ما لا يستمد من مواد عربية. والأدب الإسباني

---

[1] زيغريد هونكة، المرجع السابق، ص 510.

[2] د. عبد الرحمن علي الحجي، المرجع السابق، ص 40.

[3] كوبلر يونج، المرجع السابق، ص 54 – 55.

ذاته، وقد أثر على سائر أوروبة، متأثراً كثيراً بروح الثقافة الأندلسية، فقد ازدهـــرت في تلـــك البلاد القصص "الموريسكية" التي مزجت بين الثقافة العربية (المورية) والثقافة الإسبانية، وكانت بدءاً للرواية الحديثة، وإن أريج الثقافة الأندلسية ليعبق على صفحات الكاتب "سرفاتيس"[(1)].

كما تأثر دانتي الشاعر الإيطالي "بكتب محيي الدين بن عربي وبقصة المعراج، فتصويره للجحيم والجنة في رائعته الكوميديا الإلهية، يشابه تشابهاً تطابقياً في بعض الأحيان، ما جاء في قصة المعراج مع تفصيلاته الدقيقة[(2)].

أما الطبيب والفيلسوف ابن طفيل الإشبيلي، أستاذ ابن رشد، فقد وضع قصته الفلسفية (حيّ ابن يقظان) التي استعار اسم بطلها، من رسالة رمزية صوفية لابن سينا. فقد تخيّل ابن طفيل أن حيّ ابن يقظان هذا هو صبي يتيم، "ترك ليعيش وحده في جزيرة منعزلة، فاستطاع بواسطة التأمل، أن يقوده تفكيره إلى وجود الخالق، كما اكتشف بطريق الاتصال بالطبيعة الأســـس الضـــرورية لقوانين هذه الطبيعة. وقد ترجمت هذه الرسالة إلى مخـــتلف اللغات وحازت إعجاب المفكرين. وقد أوحت هذه القصة إلى ديفو بقصة روبنسون كروزو الشبيهة بها"[(3)].

وفي ســـنة (750هــــ./1349م.) كتب بوكاشيو حكاياته المسماة "بالصـــباحات العشـــرة" وهي تحذو حذو ألف ليلة وليلة، ومنها اقتبس شكسبير موضوع مسرحيته "العبرة بالخواتيم"[(4)].

---

(1) كوبلر يونج، المرجع السابق، ص 55 .

(2) يؤكـــد كثير من النقاد أن دانتي كان في كتابته "القصة الإلهية" التي يصف فيها رحلته إلى العالم الآخر متأثراً برسالة الغفران للمعري ووصف الجنة لابن عربي، ذلك أنه سكن جزيرة صقلية في عهد الأمبراطور "فريدريك الثاني" الذي كان مولعاً بالثقافة الإسلامية ودراستها في مصادرها العربية، وقد دارت بينه وبين دانتي مساجلات في مذهب أرسطو كان بعضها مستمداً من الأصل العربي – د. مصطفى السباعي، المرجع السابق، ص 44.

(3) راشد الكيالي، المرجع السابق، ص 105.

(4) د. مصطفى السباعي، المرجع نفسه، ص 43 .

هـــذا، و لم يقـــف أثر الحضارة الإسلامية على الأدب بل شمل عدة ميادين أخرى منها ميدان الفلسفة. كـــ"كتاب أطوار العالم الذي يُعَدّ من أقدم وأهم الكتب الفلسفية النصرانية المتأثرة بالفلسفة الإسلامية. ثم صَنَّفَ دومنجو جونثالبو كتاباً بعنوان خلود النفس De Immortalitate Animae، فاعتمد في تأليفه على بعض آراء استقاها من ابن سينا، ومن ابن جيرول Ibn Gabiroll المـــتأثـــر بمذهب وآراء ابن مسرة القرطبي "[1]. ومن كتبه كتاب بعنوان: "فروع الفلسفة De Divissione Philosophiae وهو كتاب تصـــنيف للعلوم يقفو أثر كتاب إحصاء العلوم للفارابي. وقد أثبت باور Power أثـــر كـــتاب إحصاء العلوم للفارابي على فلاسفة اللاتين عموماً وعـــلى دومـــنجو جونثالبو خصوصاً. كما ذهب موريس إلى أن كتاب دومـــنجو جونثالـــبو الذي يحمل عنوان فروع الفلسفة منقول عن كتاب الفارابي مع شيء من التصرف والزيادة من كتب أخرى لابن سينا"[2].

و لم يقتصر أثر الحضارة الإسلامية على هذه الشؤون التي ذكرت بل امتدت لتشمل نظام التشريع الذي أصبح نواة القوانين الوضعية الفرنسية فـــيما بعـــد. "فقد كان لاتصال الطلاب الغربيين بالمدارس الإسلامية في الأندلس وغيرها أثر كبير في نقل مجموعة من الأحكام الفقهية والتشريعية إلى لغـــاهم، و لم تكـــن أوروبة في ذلك الحين على نظام متقن ولا قوانين عادلة. حتى إذا كان عهد نابليون في مصر ترجم أشهر كتب الفقه المالكي إلى اللغة الفرنسية، ومن أوائل هذه الكتب "كتاب خليل" الذي كان نواة القـــانون المدني الفرنسي. وقد جاء متشابهاً إلى حد كبير مع أحكام الفقه المالكي، يقول العلامة سيديو: "والمذهب المالكي هو الذي يستوقف نظرنا عـــلى الخصـــوص لما لنا من الصلات بعرب أفريقية، وعهدت الحكومة

---

[1] د. هشام أبو رميلة، المرجع السابق، ص 680.

[2] د. هشام أبو رميلة، المرجع نفسه، ص 680 .

الفرنسية إلى الدكتور بيرون في أن يترجم إلى الفرنسية كتاب (المختصر في الفقه) للخليل بن إسحاق بن يعقوب (ت.825هـــ./1422م.)"[1].

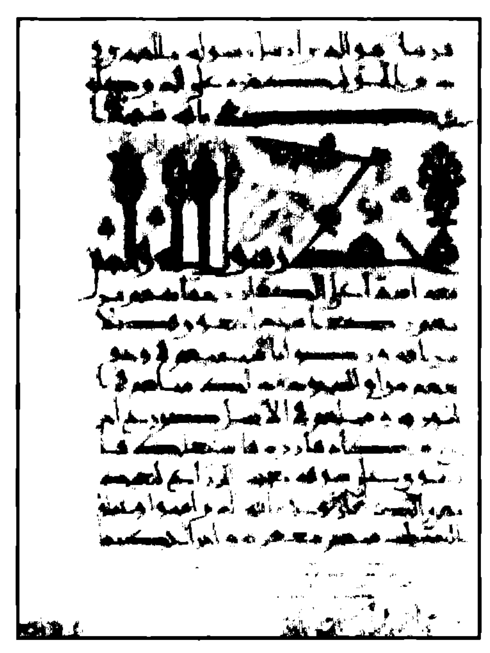
ولم يقتصـــر الأمـــر عـــلى ذلك بل امتد ليشمل العلوم والمفاهيم الإسلامية التي كانت المنطلق لأوروبة لا إلى التقدم العلمي فحسب، ولكن أيضـــاً إلى التغيرات السياسية والاجتماعية التي حدثت هناك، والتي تلت ذلك.

---

[1] د. مصطفى السباعي، المرجع السابق، ص 45.

ملحق الصور

شكل (1) صفحة من مصحف كتبت بالخط الكوفي



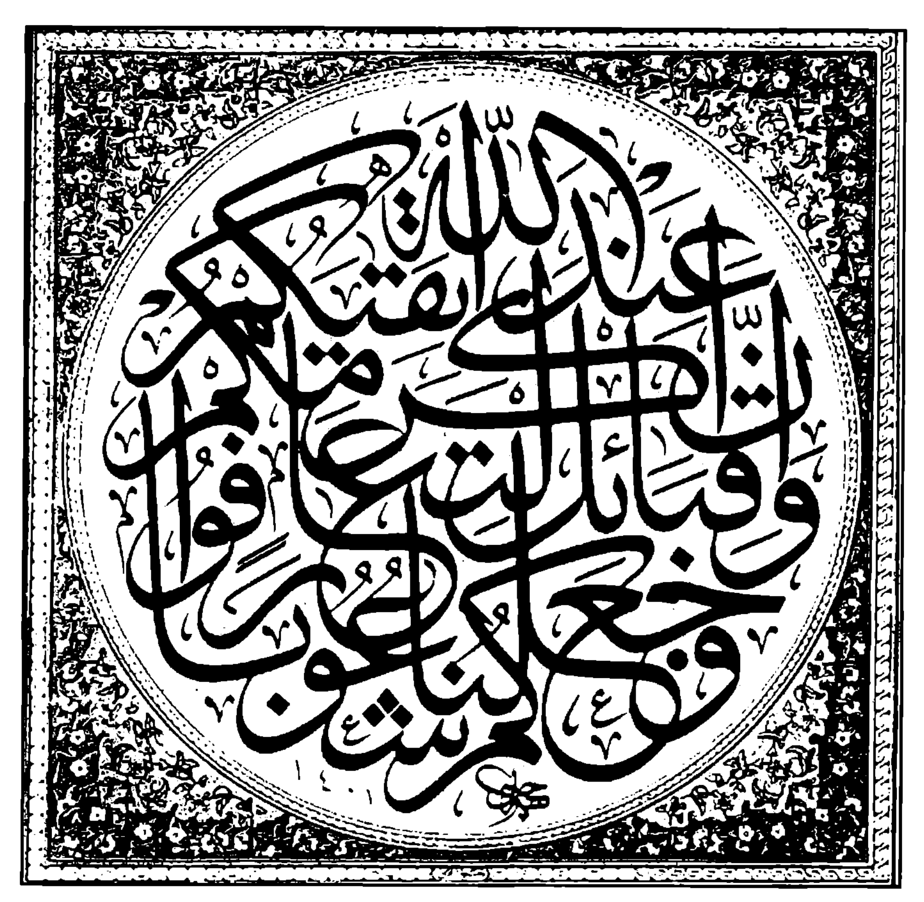
د. يحيى وهيب الجبّوري، الكتاب في الحضارة الإسلامية، ص 400.

شكل (2) نص لشاهد قبر بالخط الكوفي الصقلي - القرن الخامس الهجري.



د. عبد المنعم رسلان، الحضارة الإسلامية في صقلية وجنوبي إيطاليا، ص 49.

شكل (3) «وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم» (الحجرات/13) بخط الثلث.



كامل سلمان الجبوري، موسوعة الخط والزخرفة العربية، ج 6، ص 18.

شكل (4) «ن والقلم وما يسطرون» (القلم/1) بخط الثلث المتراكب.



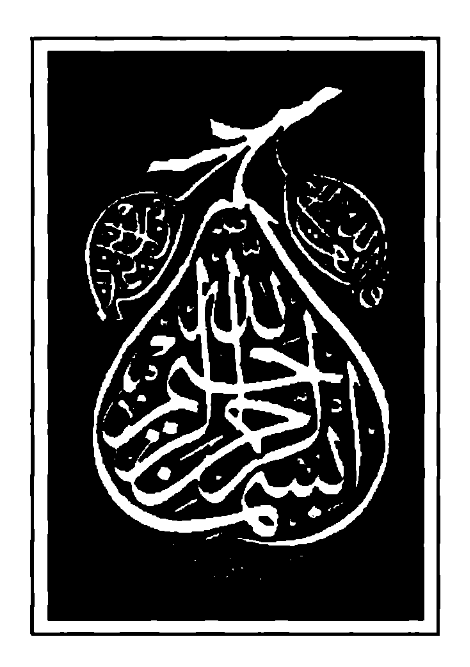
كامل سلمان الجبوري، موسوعة الخط والزخرفة العربية، ج 6، ص 20.

شكل (5) «وما توفيقي إلا بالله» (هود/88) بخط الثلث المتراكب المتناظر.



كامل سلمان الجبوري، موسوعة الخط والزخرفة العربية، ج 6، ص 259.

شكل (6) لوحة قرآنية بخط الثلث المتأثر بالرسم.



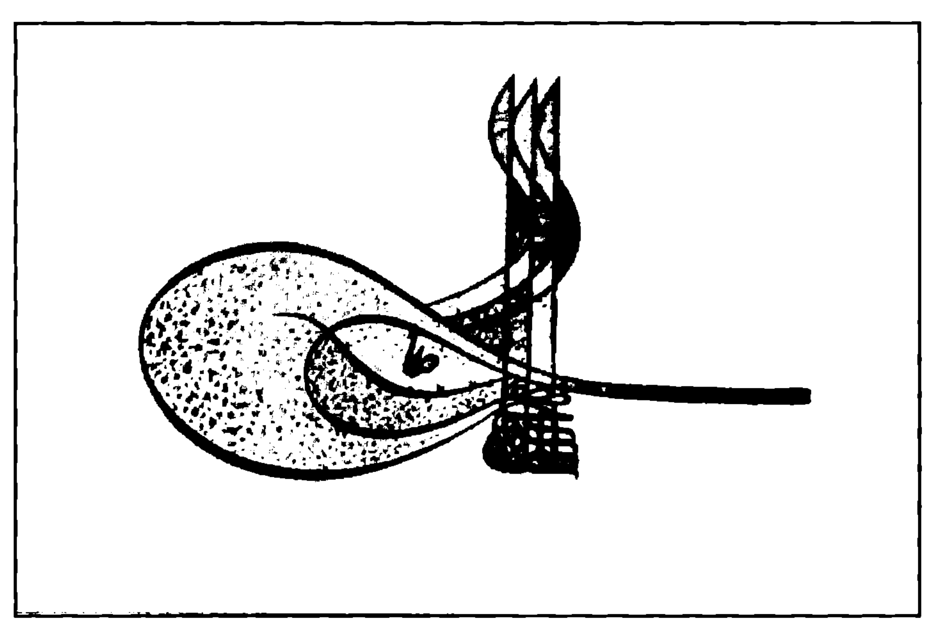
د. فاطمة محجوب، الموسوعة الذهبية للعلوم الإسلامية، م 11، شكل (28).

شكل (7) لوحة قرآنية بالخط الديواني على هيئة مطر يهطل فتحيا به الأرض -
«وما أنزل الله من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد
موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب
المسخر بين السماء والأرض»، (البقرة/164).



كامل سلمان الجبوري، موسوعة الخط والزخرفة العربية، ص 158.

شكل (8) طغراء مذهبة لفرمان السلطان سليمان القانوني.



د. يحيى وهيب الجبوري، الكتاب في الحضارة الإسلامية، ص 404.

شكل (9) فقهاء يتبادلون الآراء في أحد المساجد (894 هـ./1489م.).



د. زكي محمد حسن، في الفنون الإسلامية، ج 3، ص 193.

شكل (10) رسم توضيحي يمثل مناقشات ودروس داخل أحد المساجد.



محمود النبوي الشال، د. مها محمود النبوي الشال،
الفنون التشكيلية في الحضارة الإسلامية القديمة.

شكل (11) حلقة علمية - من مخطوط خواص العقاقير (622 هـ./1229 م.).



د. زكي محمد حسن، في الفنون الإسلامية، ص 364.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

* * * * * * * *

1- ابـــن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، القاهرة- مصر، 1956م..

2- ابن خلدون، مقدمة العلامة ابن خلدون، دار الفكر، بيروت- لبنان، ل. ت..

3- ابن خِلّكان (أحمد بن محمد ت.681هـــ.)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، دار صادر، بيروت- لبنان، 1978م..

4- ابـــن رشـــيق (أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني)، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة- مصر، 1934م..

5- ابـــن عـــبد الـــبر (يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر ت. 463هـــ.)، الاســـتيعاب، تحقـــيق علي محمد البجاوي، دار الجيل، ط1، بيروت- لبنان، 1412هـــ..

6- ابـــن كـــثير (إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي ت. 774هـــ.)، تفسير ابن كثير، دار الفكر، بيروت- لبنان، 1401هـــ..

7- ابن مسكويه (أحمد بن محمد ت.421هـــ.)، تجارب الأمم، آمبروز، القاهرة- مصر، ل. ت..

8- ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم)، لسان العرب، دار صادر- دار بيروت، بيروت – لبنان، 1388هـــ./ 1968م..

9- ابـــن النديم (أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحق المعروف بالوراق)، كتاب الفهرســـت، تحقـــيق رضـــا، تجديـــد ابن علي زين الدين العابدين الحائري المازندراني، دار المسيرة، ط3، بيروت- لبنان، 1988م..

10- أحمد أبو حاقة، إيليا حاوي، جوزيف الياس، أحمد أبو سعد، المفيد في الأدب العربي، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، 1999م..

11- أحمــد عــبد الله سرحان، حرفنا العربي وأعلامه العظام عبر التاريخ، الحقيقة برس، بيروت – لبنان، 1988م..

12- د. أحمــد محمــد عوف، الأزهر في ألف عام، عدد خاص بمناسبة الاحتفال بالعيد الألفي للأزهر الشريف، سلسلة البحوث الإسلامية، السنة الثالثة عشر- الكتاب الثاني، مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة- مصر، 1402هــ./1982م..

13- إقليمــيس داود، اللغــة الشــائعة في سورية قبل الهجرة، مجلة المشرق، م1، بيروت- لبنان، 1898م..

14- د. أيمــن فــؤاد ســيد، مــناهج العــلماء المسلمين في البحث من خلال المخطوطــات، مجلة معهد المخطوطات العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، القاهرة – مصر، رجب 1420هــ./ نوفمبر 1999م..

15- بايــارد دودج، التربية الإسلامية في العصور الوسطى، ترجمة د. سامي خماس الصــقار، مجلــــة الدارة، السنة 13، العدد 1، الرياض- السعوديـــة، شوال 1407هــ./ يونيو 1987م..

16- البخاري، صحيح البخاري، دار ابن كثير، ط3، بيروت- لبنان، 1407هــ./ 1987م..

17- بديــع الزمان الهمذاني، ديوان بديع الزمان الهمذاني، تحقيق يسرى عبد الغني عبد الله، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت – لبنان، 1407هــ./ 1987م..

18- الترمذي (محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي ت. 279هــ.)، سنن الترمذي، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ل.ت..

19- د. توفيق يوسف الواعي، الحضارة الإسلامية مقارنة "بالحضارة الغربية"، دار الوفاء، ط1، المنصورة- مصر، 1408هــ./ 1988م..

20- الجاحظ (عمروبن بحر)، كتاب الحيوان، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت – لبنان، 1416هــ. / 1996م..

21- جــاك ريســلر، الحضــارة العربية، تعريب د. خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، ط1، سلسلة عام 2000، بيروت- لبنان/ باريس- فرنسا، 1993م..

22- جميل نخلة المدور، حضارة الإسلام في دار السلام، وزارة المعارف العمومية، المطبعة الأميرية ببولاق، القاهرة- مصر، 1935م..

23- حاجي خليفة (مصطفى بن عبد الله، 1017 – 1067هـ.)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1413هـ./ 1992م..

24- د. حسن الباشا، أصول الحضارة الإسلامية، الدارة، العدد 1، ربيع الأول 1395هـ./ مارس 1975م..

25- الحسن السائح، الحضارة الإسلامية في المغرب، دار الثقافة، ط2، الدار البيضاء- المغرب، 1406هـ./ 1986م..

26- خير الدين الزركلي، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء والمستشرقين والمستعربين، دار العلم للملايين، ط10، بيروت – لبنان، 1992م..

27- الدينوري (عبد الله بن مسلم بن قتيبة، ت. سنة 276هـ.)، عيون الأخبار، دار الكتب المصرية/ الهيئة العامة للكتاب، ط1، القاهرة- مصر/ بيروت- لبنان، 1348هـ./ 1930م..

28- الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ت.748هـ.)، سير أعلام النبلاء، تحقيق الأبياري، وقرئ على د.طه حسين، يخرجه معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية بالإشتراك مع دار المعارف، ذخائر العرب (9)، القاهرة- مصر، ل.ت..

29- راشد الكيلاني، التعاون الثقافي الإسباني العربي، مجلة التراث العربي، السنة 8، العدد 32، إتحاد الكتاب العرب، دمشق- سوريا، ذي القعدة 1408هـ./ تموز يوليو 1988م..

30- د. زكي محمد حسن، في الفنون الإسلامية، سلسلة الأعمال الكاملة، ج3، دار الرائد العربي، بيروت – لبنان، 1401هـ./ 1981م..

31- الزهري (محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله البصري الزهري ت. 230هـ.)، الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت- لبنان، ل. ت..

32- زيغـريد هونكـة، شمـس العرب تسطع على الغرب أثر الحضارة العربية في أوروبـة، نقلـه عـن الألمانية فاروق بيضون، كمال دسوقي، راجعه ووضع حواشـيه مارون عيسىالخوري، منشورات المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، ط1، بيروت- لبنان، 1964م..

33- سـعيد زايـد، الخوارزمي والمصطلح العلمي في كتابه مفاتيح العلوم، الدارة، العدد1، السنة 6، الرياض- السعودية، شوال 1400هـ./ سبتمبر 1980م..

34- سيبويه، كتاب سيبويه (علم الأعلام إمام كل إمام، مالك أزمة الأدب وملك علوم العرب أبي بشر عمرو الملقب سيبويه)، وبهامشه تقريرات وزبد من شرح أبي سـعيد السيرافي، المطبعة الكبرى الأميرية، ط1، بولاق - مصر المحمية سنة 1316هـ..

35- د. سـيد وقار أحمد حسيني، الفكر الإسلامي في تطوير مصادر المياه والطاقة، تقـديم د.محمود عكام، ترجمة سمية زكريا زيتوني، فصلت للدراسات والترجمة والنشر، ط1، حلب- سورية، 1998م..

36- شـاخت وبـوزورث، تراث الإسلام، القسم الثاني، ترجمة د. حسين مؤنس وإحسـان صدقي العمد، مراجعة د. فؤاد زكريا، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطـني للثقافة والفنون والآداب، الكويت- الكويت، ذو القعدة /ذو الحجة 1398هـ./ نوفمبر (تشرين الثاني) 1978م..

37- د. شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في النثر العربي، مكتبة الدراسات الأدبية 19، دار المعارف، ط6، القاهرة - مصر، 1971م..

38- الطـبراني (أبـو القاسـم سليمان بن أحمد الطبراني ت. 360هـ.)، المعجم الأوسـط، تحقـيق طـارق ابن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة- مصر، 1415هـ..

39- الطـبراني (سليمان بن أحمد بن أيوب ت. 360هـ.)، المعجم الكبير، تحقيق حمـدي ابن عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، ط2، الموصل- العراق، 1404هـ./ 1983م..

40 - د. طـه نـدا، فصـول من تاريخ الحضارة الإسلامية، دار النهضة العربية، بيروت- لبنان، 1973م..

41 - عـباس محمود العقاد، أثر العرب في الحضارة الأوروبية، دار المعارف، ط4، القاهرة- مصر، 1965م..

42 - عـبد الـرحمن حسن حبنكة الميداني، الحضارة الإسلامية، دار القلم، ط1، دمشق- سورية، 1418هـ./ 1998م..

43 - د. عـبد الـرحمن حميـدة، أعلام الجغرافيين العرب، دار الفكر المعاصر، بيروت - لبنان/ دار الفكر، دمشق- سورية، ط1، 1416هـ./ 1995م..

44 - د. عـبد الـرحمن عـلي الحجي، الحضارة الإسلامية في الأندلس (أسسها، ميادينـها، وتأثيرهـا على الحضارة الأوروبية)، دار الإرشاد، بيروت - لبنان، 1969م..

45 - عـبد العزيز بن عبد الله، الفكر العلمي ومنهجية البحث عند علماء المغرب، مجلـة الـدارة، السنة 5، العدد 3، الرياض- السعودية، ربيع ثان 1400هـ./ مارس 1980م..

46 - عـبد العظيم بن عبد القوي المنذري (ت. 656هـ.)، الترغيب والترهيب، تحقـيـق إبراهـيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت — لبنـان، 1417هـ..

47 - د.عـبد الفـتاح مقلد الغنيمي، الحضارة الإسلامية وتحديات القرن الحادي والعشرين، مكتبة مدبولي، ط1، القاهرة – مصر، 1415هـ. – 1995م..

48 - عـبد اللطـيف أرناؤوط، الحسن بن الهيثم (354 – 430هـ.)، مجلة التراث العـربي، السـنة 13، العدد 53، دمشق- سورية، جمادي الأولى 1414هـ./ تشرين الأول (أكتوبر) 1993م..

49 - د. عـبد المنعم رسلان، الحضارة الإسلامية في صقلية وجنوب إيطاليا، ط1، تهامة- جدة، المملكة العربية السعودية، 1410هـ./ 1980م..

50 - د. عزيـزة فوال بابتي، التطور الحضاري (من بدء خلافة الراشدين إلى نهاية خلافة الأمويين)، دار الشمال، طرابلس — لبنان، ل.ت..

51 - عـــلي رواي، الخـــط العربي، نشأته، تطوره، قواعده، خط الثلث والنسخ، منشأة المعارف، الإسكندرية- مصر، ل.ت..

52 - د. عمــر فــروخ، الحضارة الإنسانية وقسط العرب فيها، دار لبنان، ط3، بيروت- لبنان، 1983م..

53 - د. عــوض بن حمد القوزي، الأصوليين الفقهاء والنحاة، مجلة الدارة، السنة 13، العدد4، الرياض- السعودية، 1408هـ- 1988م..

54 - الغزالي، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت- لبنان، 1402هـ./1982م..

55- فاطمة الجامعي الحبابي، جامعة القرويين وآفاق إشعاعها الديني والثقافي، ندوة تكريمـــية لعمـــيدها عـــبد الوهاب التازي سعود، أبحاث وأعلام (5)، تمارة - المغرب، ل. ت..

56- د. فاطمـــة محجـــوب، الموسوعة الذهبية للعلوم الإسلامية، دار الغد العربي، القاهرة - مصر، ل. ت..

57- د. فرانـــتز روزنتـــال، مناهج علماء المسلمين في البحث العلمي، دار الثقافة، ط4، بيروت- لبنان، 1403هـ./ 1983م..

58- فوزي سالم العفيفي، جامع الخط العربي، دار الكتاب العربي، ط1، دمشق - القاهرة، 1416هـ./ 1996م..

59- القـــرطبي (محمـــد بن أحمـــد بن أبي بكر بن فـــرح القرطبي أبو عبد الله ت.671هـ.)، تفسير القرطبي، تحقيق أحمد عبد العليم البردوني، دار الشعب، ط2، القاهرة- مصر، 1372هـ..

60- كامل البابا، روح الخط العربي، دار العلم للملايين/ دار لبنان للطباعة والنشر، ط2، بيروت- لبنان، 1988م..

61- كامل سلمان الجبوري، موسوعة الخط والزخرفة العربية، دار ومكتبة الهلال، ط1، بيروت - لبنان، 1420هـ./ 1999م..

62- الكـــتاني (عبد الحي بن شمس الكتاني)، نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإداريـــة، الناشـــر حسن جعنا، يطلب من محمد أمين دمج، بيروت- لبنان، ل.ت..

63 - كوبلر يونج، أثر الإسلام الثقافي على المسيحية، مجلة آفاق الإسلام، السنة5، العدد1، عمان- الأردن، آذار 1997م..

64 - لطفـــي خوري، ألفاظ عربية في المصطلحات الموسيقية الهندية، مجلة التراث الشعبي، السنة 10، العدد 18، بغداد- العراق، 1979م..

65- مــالك القعقور، أي مساهمة للعرب في علم الفلك ونظريات العلوم الحديثة، جريدة الحياة، 24 / 8 / 1995، مقالة عن كتاب " نحن والعالم"، للكاتب سالم يفوت.

66 - محمـــد بـــن سعيد شريفي، اللوحات الخطية في الفن الإسلامي المركبة بخط الثلث الجلي، دراسة فنية في تاريخ الخط العربي، دار ابن كثير، دمشق- سورية/ بـــيروت- لبـــنــــان، دار القـــادري، دمشق- سورية/ بيروت- لبنان، ط1، 1419هـــ./ 1988م..

67 - محمـــد بـــن ســـلامة بـــن جعفر أبو عبد الله القضاعي (ت. 454)، مسند الشـــهاب، تحقـــيق حمدي ابن عبد الحميد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، 1407هـــ./ 1986م..

68 - محمد حسين فنطر، فوزي محفوظ، عبد الحميد الأرقش، الحضارة الإسلامية في تونـــس، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، إيسيسكو، مطبعة الهلال العربية، الرباط- المملكة المغربية، 1417هـــ./ 1997م..

69 - محمـــد عبد الرحيم غنيمة، تاريخ الجامعات الإسلامية الكبرى، دار الطباعة المغربية، تطوان- المملكة المغربية، 1953م..

70 – محمـــــــد كـــرد علي، خطط الشام، مكتبة النوري، ط3، دمشق- سورية، 1403هـــ./ 1983م..

71 - محمـــد محمـــد حسن شراب، في أصول تاريخ العرب الإسلامي، دار القلم، دمشق- سورية، دار الشامية، بيروت- لبنان، ط1، 1413هـــ./ 1993م..

72- د. محمـــد محمد زيتـــون، القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية، دار المنار، ط1، القاهرة- مصر، 1408هـــ./ 1988م..

73- محمـــود النـــبوي الشال، د. مها محمود النبوي الشال، الفنون التشكيلية في الحضـــارة الإسلامية القديمـــة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة- مصر، 2000م..

74- مسلم (بن الحجاج القشيري النيسابوري ت. 261هـــ.)، صحيح مسلم، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ل.ت..

75- د. مصـــطفى الســـباعي، من روائع حضارتنا، دار الإرشاد، ط2، بيروت- لبنان، 1388هـــ./ 1968م..

76- المقريـــزي (تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي المقريزي)، المواعظ والاعتبار بذكـــر الخطط والآثار، إعداد: د. سمير سرحان، د. محمد عناني، الهيئة المصرية العامـــة للكـــتاب، مهـــرجان القراءة للجميع، مكتبة الأسرة، سلسلة التراث، الإسكندرية- مصر، 1998م..

77- المـــنجد في اللغـــة والأعلام قسم الأعلام، المنجد في اللغة، ط 35، المنجد في الأعلام، دار المشرق، ط2، بيروت- لبنان، 1996م..

78- النيسابوري (محمد بن عبد الله ت. 405هـــ.)، المستدرك على الصحيحين، تحقـــيق مصـــطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت- لبنان، 1411هـــ./ 1990م..

79- د. نـــيقولاوس فـــان دام (التحرير)، د. يان بروخمان، كورنيلس خ. براور، د.ألكســـندر هـــ. ده خروت، د. بن ي. سلوت، يان يوست فيتكام، هولندا والعـــالم العـــربي مـــنذ القـــرون الوسطى حتى القرن العشرين العلوم- اللغة- الـــتجارة – الثقافة والفن، مقدمة لمعالي وزير الخارجية الهولندي السيد هانس فـــان دن بـــروك، تعريب أسعد جابر، (Lochem) لوشم بالتعاون مع وزارة الخارجية في لاهاي، هولندا،1987م..

80- د. هشـــام أبو رميلة، الإسبان والحضارة الإسلامية، مجلة معهد المخطوطات العربية، م 30، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الكويت – الكويت، ذو القعدة 1406هـــ.- ربيع الآخر 1407هـــ./ يوليو- ديسمبر 1986م..

81- الهيثمي (علي بن أبي بكرت. 807هـ.)، مجمع الزوائد، دار الريان للتراث- دار الكتاب العربي، القاهرة- مصر، بيروت- لبنان، 1407هـ..

82- د. وهبة الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، دار الفكر، ط3، دمشق- سوريا، 1409 هـ./ 1989 م..

83- ياقوت الحموي، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق د. إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت-لبنان، 1993م..

84- ياقوت الحموي، معجم الأدباء، سلسلة الموسوعات العربية، راجعته وزارة المعارف العمومية، دار المأمون، مكتبة عيسى بابي الحلبي وشركاه، القاهرة- مصر، ل.ت..

85- د. يحيى وهيب الجبوري، الكتاب في الحضارة الإسلامية، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت – لبنان، 1998م..

86- يوحنا كريستوف بيرغل، الوجه المزدوج للطب في الحضارة الإسلامية(1)، جريدة الحياة، العدد 11364، 1994/3/29م..

87- يوسف نويهض، الموجات الحضارية بين العرب وسكان شبه القارة الباكستانية الهندية، مجلة الوعي، العدد2، الكويت- الكويت، أيار 1967م..

المحتـــوى

الموضوع	الصفحة
الإهداء	7
المقدمة	9
الفصل الأول: اللغة العربية والخط	13
تمهيد	15
اللغة العربية وضبطها	16
النحو	19
الشعر والنثر	25
الخَطابة والنثر	27
المناظرات الكلامية	30
المقامات	32
الخط العربي	33
هندسة الحروف	42
الفصل الثاني: العلم والتراث – الجامعات والمكتبات	45
الدعوة الى طلب العلم	47
النشاط الثقافي	50
العلوم التي كان المسلمون **يتداولونها في العصر النبوي**	53
أماكن العلم	56
المكتبات	65
المكتبة عزيزة على العَالِم	68
المكتبات ونفقاتها	69
المكتبات في الأندلس	71
نكبة المكتبات	71
نفائس المكتبات	74

الفصل الثالث: الترجمة والنقل والبحث العلمي 79
الترجمة والنقل 81
البحث العلمي 89
تتبع المنهج التجريبي 92
العلماء والبحث العلمي 99
منجزات المنهج التجريبي 100
الفصل الرابع: من أثر حركة الترجمة والعلوم الإسلامية في
الأندلس 105
تمهيد 107
الحركة العلمية 113
إقبال الغربيين على حضارة المسلمين 115
مدرسة ألفونسو للترجمة في الأندلس في مدينة مُرسِيْه 116
أفضل المترجمين في الأندلس 118
تجدد حركة الترجمة 120
انتشار العربية 121
أثر اللغة العربية في اللغات الأوروبية 125
كلمات عربية في لغات أوروبية في مجال الملاحة والفلك 128
حول التعليم والمكانة العلمية 130
الأدب العربي ودخوله في الأدب الأوروبي 132
ملحق الصور 139
المصادر والمراجع 150
الفهرس 159

2006\5\735